بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ




## أربعة متون من كتابات:

الشيخ ابن عطاء الله السكندري

الإمام أبو حامد الغزالي

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

MABDA

السلسلة العربية – الكتاب ٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم




سورة الأنعام ٦: ٩١


الله
جل جلاله

## كتب أخرى من نفس السلسلة

١. ورد القرآن اليومي ٢٠٠٨
٢. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: الأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات ٢٠٠٩
٣. الكتاب الأربعين في رحمة الدين ٢٠٠٩
٤. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ٢٠٠٩
٥. الحقيقة والمعرفة ٢٠٠٩
٦. تعداد الضحايا ٢٠١٠
٧. القرآن الكريم والبيئة ٢٠١٠
٨. الخطاب الموجه إلى صاحب القداسة البابا بنديكتوس السادس عشر ٢٠١٠
٩. حِنّا ٢٠١١
١٠. العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر ٢٠١١
١١. كتاب فضائل الذكر ٢٠١١
١٢. العقل والعقلانية في القرآن ٢٠١٢
١٣. مفهوم الإيمان في الإسلام ٢٠١٢
١٤. كتاب الإعلام بمناقب الإسلام ٢٠١٢
١٥. الخطاب الموجه إلى رابطة العلماء الأردنيين ٢٠١٢
١٦. حول مطالبة إسرائيل بالاعتراف بـــ" الدولة اليهودية " ٢٠١٢
١٧. لماذا يجب أن نزور المسجد الأقصى المبارك ٢٠١٢
١٨. القرآن والقِتال ٢٠١٢
١٩. ذكر الله في التعليم ٢٠١٢
٢٠. الدرر من كلام أهل الوبر ٢٠١٣
٢١. خمسة متون في القراءات والتجويد ٢٠١٣
٢٢. متن ابن عاشر وشرح المراكشي عليه وقرة الأبصار في سيرة المشفع المختار ٢٠١٣
٢٣. ثمانية متون في العقيدة والتوحيد ٢٠١٣
٢٤. ذكر اسم الله ٢٠١٣




## أربعة متون من كتابات:

الشيخ ابن عطاء الله السكندري

الإمام أبو حامد الغزالي

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

٢٤

MABDA

السلسلة العربية - الكتاب ٢٤

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .
السلسلة العربية - الكتاب ٢٤

كتاب ذكر اسم الله

ISBN: 978-9957-428-66-2
. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



عمان / الأردن

www.rissc.jo

تنضيد: آمنة صالح

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠١٣/٢/٦٢٨)



# المحتويات

# مُقَدِّمَة

يتألف هذا الكتاب من مقالة للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي حول ذكر اسم «الله» بعنوان (القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد)، ونصوص مختارة من كتابَي (مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح) و(القصد المجرَّد في معرفة الاسم المفرد) للشيخ ابن عطاء الله السكندري، ومقتطفات من كتاب ميزان العمل للإمام أبو حامد الغزالي.

تركِّز هذه النصوص المختارة على ذكر اسم الله وتنظر إلى ذلك من وجهات نظر مختلفة بما في ذلك النحو، والشرع، والمنطق، والعقل والنقل، وقد استندت هذه النصوص في مناقشاتها على العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة. وقد كتب الشيخ العلاوي مقالته هذه ردّاً على انتقادات استهدفت طلاَّبه الذين كانوا يذكرون اسم الله بصوتٍ عالٍ. وقد ركَّزَت هذه الانتقادات على مشروعية ذكر اسم الله مُفردًا من الناحيتين الدينية والنحوية، وأجاب الشيخ العلاوي على جميع هذه الانتقادات بتعمُّق مع ذكر الأدلة.

قال الله تعالى: ﴿... قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

[الأنعام، ٦: ٩١].

قال رسول الله ﷺ: «لا تَقوم السّاعة حتى لا يُقَال في الأرض الله الله»(١).

(١) صحيح. رواه مسلم (١٤٨) في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

# القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عِباده الَّذين اصطفى، من عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، إلى جَناب المفضال السيد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد أيُّها الأخ المحترم، فقد كنت تشرَّفت بزيارتكم صحبة صديق الجميع حضرة الشيخ وبمناسبة ما دار بيننا من الحديث، في تلك السويعات التي رأيتكم فيها موغر الصَّدر على إخوانكم العلاويين، حسبما لاح لي في ذلك الحين، لا لذنب ارتكبوه سوى أنهم مولعون بإجراء الاسم المفرد على ألسنتهم، وهو قولهم: «الله»، فظهر لكم أن ذلك مما يستحق عليه العتاب، أو نقول العِقاب، لأنكم قلتم إنهم يلهجون بذكر ذلك الاسم بمناسبة أو بغير مناسبة، سواء عليهم في الأزقَّة أو غيرها من الأماكن التي لا تليق للذِّكر، حتى أن أحدهم إذا طَرَق الباب يقول: «الله»، وإذا ناداه إنسان يقول: «الله»، وإذا قام يقول: «الله»، وإذا جلس يقول: «الله»، إلى غير ذلك مما جرى به الحديث.

ومن جهة أخرى أنكم كنتم ترون أن هذا الاسم، لا يصلح أن يكون ذكرًا، ولا هو من أقسام الكلام المفيد، جريًا منكم على ما اشترطه النحويُّون، من لزوم التركيب، في تعريفهم الكلام المُفيد، ولما كان لا يسعني حَملكم في جميع ذلك إلَّا على قَصد طَلَب التّفاهم والفَحص عن الحَقّ والصّواب فيما جاءوا به، هل هو جائز أو لا، ظهر لي أن نواجهكم بهذا المكتوب، عسى أن يحصل به ما هو شفاء للصّدور، ودواء للقلوب.

فأقول: أما وقوفكم عند ما اشترطه النحويّون، من لزوم التركيب فيما يعتبر كلامًا فهو صحيح، غير أنه فاتكم كون النحويّين كانوا في تقريرهم ذلك، عاملين على تعريف الكلام، الَّذي تتوقَّف عليه إفادة السّامع، وبعيد أن ينطبق عملهم ذلك على الأذكار، وما يخصّها من جهة المشروعيّة أو عدمها، وما يترتَّب على ذلك من الثّواب ونحوه، ولا شَكّ أنك لو سألتهم في ذلك الحين، أو هذا الحين، لأجابوك قائلين: إن ما قرَّرناه هو مجرَّد اصطلاح نعتمده في عُرْفنا، ولا مشاحة في الاصطلاح، وأنت خبير من كون الكلام عند النحويّين هو غيره عند المتكلِّمين،

وعند المتكلّمين هو غيره عند الفُقَهاء، وعند الفُقَهاء هو غيره عند الأصوليّين، وهلم جرّا، فإنّ لكل قوم اصطلاحًا، وينتج لنا من هذا أن النحويّين كانوا بصدد تعريف الكَلام المُفيد، الذي يحسن سكوت المتكلِّم عليه، لا بصدد تعريف الأذكار المشروعة من الأذكار الغير المشروعة.

وبعبارة أخرى، إن ما اشترطه النحويُّون من لزوم التركيب، هو خاص بمن يريد بكلامه إفادة غيره، أما الذّاكر فلا يقصد بذكره إلّا إفادة نفسه، وتمكين معنى ذلك الاسم الشريف من قلبه، أو ما يشبه ذلك من المَقاصد.

وثانيًا إن النحويّين لم يشترطوا في حَقّ المتوجِّع أو المتأوِّه، وجود التركيب فيما يبرز من لسانه، لأنّ قصده غير قصد النحويّين، ومن البعيد أن يقول النّحوي للمتوجِّع أو المتأوِّه: إنني ما فهمت مقصودك من تأوُّهك لأنه لفظ غير مركَّب يحتاج إلى خبر أو شبه ذلك! وهذا كلّه لا يتَّفق مع مَقصود المتوجِّع، لأنه لا يقصد إفادة غيره، إنّما يقصد التّرويح بذلك اللفظ على نفسه، وهكذا ذاكر الاسم، لا يَقصد إلَّا تمكين أثر ذلك

الاسم من نفسه، وأنت تعلم ـ يا حضرة الأخ ـ، من أن لكل اسم أثرًا يتعلّق بنفس ذاكره، ولو من غير الأسماء الإلهيّة، حتى أن الإنسان إذا رَدَّد على لسانه ذكر الموت مثلاً، فإنه يحس بأثر يتعلَّق بالنّفس، من ذكر ذلك الاسم، بالخصوص إذا دام عليه، ولا شَكّ أن ذلك الأثر هو غير الأثر المستفاد من ذكر المال، أو العِزّ، أو السُّلطان، ولولا مراعاة ذلك الأثر، لما وَرَد في الحديث الشّريف: «أكثروا من ذكر هادِم اللّذات» يعني الموت، ولا شك أنها كلمة مفردة، وقد ورد أنها كانت وردًا لبعض السَّلَف.

وبالجملة، إنّ تعلُّق أثر الاسم المذكور بالنفس، يحس به كل إنسان مهما كان له حس لطيف، سواء كان ذلك من قبيل الجديّات، أو الهَزَليّات، وإذا سلمنا هذا لزمنا أن نعتقد كون اسم الجَلالة يُحْدِثُ أثرًا في النّفس كما يُحدثه غيره من بقيّة الأسماء، ولكل أثر ما يناسبه، ولا يفوتك ـ أيها الأخ ـ من كون الاسم يشرف بشرف مُسَمَّاه، بما يحمله من أثره في طَيّ سِرّه ومعناه.

ثم إننا إذا قطعنا النّظَر عن جميع ما قَدَّمناه، وألزمنا

نفوسنا بالوُقوف عند حكمِ الشّرعِ، فيما يرجع لجِرَيان ذلك الاسمِ على اللِّسان، فلا شَكَّ أننا نجده داخِلاً تحت حكمٍ من أحكامِ الشَّرعِ الخمسة وهي: «الوجوب، والندب، والحُرمَة، والكَراهة، والإباحة» حيث أنه لا مسألة من المَسائل الفعليّة أو القوليّة، إلَّا وهي مشمولة بحكمٍ من الأحكامِ السّابقة. وإذًا ينبغي لنا قبل توجيه اعتراضنا على المتلفِّظ بذلك الاسمِ، أن ننظر أي حكمٍ يشمله، فإن وجدناه داخِلاً تحت أقسامِ المحرَّمات أو المكروهات، وَجَب علينا توجيه اعتراضنا على المتلفِّظ به، لأنه جاء شيئًا نكرًا، وإلَّا فإن وجدناه من غير ذلك القسمِ، فيكون الإنكار عليه منكرًا، لأنه لم يزد على أن تلفظ بشيء مباح على الفرض، هذا إذا لم يكن واجبًا أو مندوبًا، وإذا كان اللَّفظ في حَدِّه مُباحًا، فما يمنعنا من تكرار المُباح، حتى نجعل المتلفِّظ به مستحقًّا للعِتاب أو نقول العِقاب. وهذا على فرض تجريد ذلك الاسمِ من كل صبغة دينيّة. وكيفما فعلنا لا يبلغ بنا أن نلحقه بأقسامِ المكروهات أو المحرَّمات، مع بقائه على صبغته بالنّظر لمنزلته، فمثلكم من يخصَّص له

من المَراتب ما يناسبه، ﴿... وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ...﴾ [الحج، ٢٢: ٣٠] ﴿... وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج، ٢٢: ٣٢].

ثم أقول: إنّ جميع ما قَدَّمنا هو جري منا على سبيل الفرض، من جهة كونه اسمًا مفردًا غير منظّم لشيء، ولو على سبيل التقدير. أما إذا استطلعنا الحقيقة وأمَطنا القناع، فإننا نستطيع أن نقول: إنه مما يجوز ذكره حتى على قول من يشترط التركيب.

لأنه في الواقع مُنادى، والمُنادى عندهم من أقسام الكلام المفيد، لأنهم أوَّلوا حرف النِّداء بمعنى أدعو، وحذفه جائز وشائع في لغة العَرَب، وكثيرًا ما يدعو المقام لحذفه لزومًا، كما في القضيّة هنا مراعاة لما تطلبه منّا الآداب القرآنيّة والتعاليم الإسلاميّة، التي قد يكون منها للسّادة الصوفيّة أكثر مما لغيرهم. وأرجوكم ـ يا حضرة الأخ ـ أن لا تستبعدوا قولنا لكم: إنّ القوم قد تأدَّبوا بآداب القرآن وتمسّكوا بأهذاب التّقوى، التي تعطي الفرقان، قال تعالى:

﴿...إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [الأنفال، ٨: ٢٩] وقد صفت لذلك بواطنهم، إلى أن فتح الله عليهم فيه، بما لم يفتحه على غيرهم.

ومن جملة ما يرجع لهاته النازلة أعني ذكرهم الاسم المفرد بإسقاط أداة النِّداء فإنهم بما التزموا به، بموجب قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ...﴾ [الإسراء، ١٧: ١١٠]. فتوجَّهت عنايتهم إلى أوَّل مأمور بذكره، وهو قولنا: الله.

وعند محاولتهم واستفراغهم الجهد، واستغراق الهمّة في الخلوات والجلوات قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم[١] احتفاظًا منهم بواجب الدعاء المأمور به، دفعهم التوفيق الإلهي إلى لزوم إسقاط حرف النِّداء، وكل ذلك لما تطلبهم به حضرة القرب، بناء على أن أدوات النِّداء، جاءت للبعيد لا لمن هو أقرب إلينا من حبل الوريد.

والذي يشعرك بصدق إلهامهم، هو ما تجده في كتاب

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة ﴿... قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ...﴾ [النساء، ٤: ١٠٣]

الله من الآي التي هي من مشمول النِّداء، وكانت على قسمين، منها ما هو من العبد لربِّه، ومنها ما هو من الرَّبِّ لعبده، فإذا كان من قبيل القسم الأوَّل جاء بإسقاط حرف النداء، وإن كان من قبيل الثاني جاء بإثباته؛ ومِمّ كان هذا يا ترى؟ وكيف اهتدى القوم لذلك يا سبحان الله؟

وقد كنت وقفت على كلام لمفخرة المغرب الأستاذ أبي إسحاق الشّاطبي يكفينا مؤنة ما نستجلبه من التفصيلات في هذا الموضوع؛ قال طيَّب الله ثراه في كتاب «الموافقات» الجزء الثاني صحيفتي ٦٨ و٦٩ ما نصّه:

إن القرآن أتى بالنِّداء من قبل الله تعالى للعباد ومن العباد لله سبحانه إما حكاية وإما تعليماً، فحين أتى بالنِّداء من قبل الله تعالى للعباد جاء بحرف النِّداء المقتضي للبعد، ثابتاً غير محذوف، كقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ...﴾ [العنكبوت، ٢٩: ٥٦] ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾ [الزمر، ٣٩: ٥٣] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف، ٧: ١٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [البقرة، ٢: ١٠٤].

فإذا أتى بالنِّداء من العِباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت، بناء على أن حرف النِّداء للتنبيه في الأصل، والله منزَّه عن التنبيه، وأيضًا فإنّ أكثر حروف النِّداء للبعد منها «يا» التي هي أم الباب وقد أخبر الله تعالى أنه قريب من الدّاعي خصوصًا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ [البقرة، ٢: ١٨٦] ومن الخلق عمومًا لقوله تعالى: ﴿...مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾ [المجادلة، ٥٨: ٧] وقوله: ﴿... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق، ٥٠: ١٦] فحصلوا من هذا التنبيه على أدبين: أحدهما ترك حرف النِّداء والآخر استشعار القرب، كما أن في إثبات الحرف في القسم الأخير، التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد، والدلالة على ارتفاع شأن المنادى وأنه منزَّه عن دُنُوِّ كدنو العِباد إذ هو في دُنُوِّه عال وفي علوِّه دان سبحانه.

والثاني: إنّ نداء العَبد للرَّبّ نداء رغبة وطَلَب، لما يصلح شأنه فأتى في نداء القرآن بلفظ الرَّبّ في عامّة الأمر،

تنبيهـًا وتعليمًا، لأن يـأتي العَبـد في دعائـه بالاسـم المقتضي لحـال المدعو، وذلك أنّ الرَّبّ في اللغـة هوالقائـم بما يصـلح المربوب، فقال تعـالى في معرض بيان دعـاء العِباد ﴿ ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ...﴾ [البقرة، ٢: ٢٨٦] . . . الخ.

قلت: فانظر ـ رحمك الله ـ كيف جاء النِّداء المختص بالعَبد بإسقاط ياء النِّداء، وما ذلك إلَّا لحكمة ما سبق؛ وإذا فهمت هذا فَقُل لي بِرَبِّك هل يبقى على القَوم من عِتاب إذا بلغنا عنهم أنهم يحذفون ياء النِّداء في دعائهم وندائهم لمولاهم؟ وهل هذا من فقههم في دين الله أو من عدم فهمهم عن الله؟ تأمل.

ومع ما قدَّمناه من الاستشهادات فإنّي لا أنسى كون الخَصم، أو نقول المسترشد، لا ينفك متشوفًا لما بأيدي القوم من النّصوص والاستشهادات الدالَّة على مشروعيّة ذكر اسم الجلالة بانفراده، من حيث وروده على ألسنة السَّلَف بتلك الصّيغة، غير أنه ينبغي لصاحب هذا التشوُّف أن لا ينسى أنّ

القوم لا ينفكّون متشوفين. لما بأيدي الخَصم أيضًا من النصوص والاستشهادات القاضية بعدم مشروعيّة ذكر ذلك الاسم بمفرده، وكونه لم يكن من ذكر السَّلَف، لا في خلواتهم ولا في جلواتهم، فإن كان أقصى ما يعتمده في هذه النازلة هو ما يرجع للقواعد النحويّة من جهة عدم التركيب، فإننا قد قدَّمنا له عدم صلاحيتها لأن تكون حجّة في هذا الباب، وإن كان بيده من النّصوص غير ذلك فينبغي له أيضًا أن لا يُسارع بالنّكير، لما ربما يكون بيد القوم ما يعارضها، وعلى فرض وجود التساوي في الطَّرفين، أو عدم الوجود في الجهتين، فلا تزيد المَسألة عن أن يشملها دور الاجتهاد، وإذًا فيكون قول الخصم: إنه لا يجوز ذكر هذا الاسم بانفراده ليس بحجة على مَن يقول بجوازه، وغاية الأمر أن يكون قولكم بعدم الجَواز مقصودًا على ما يخصُّكم أنتم، لأنّ التشريع للغير وإلزام الناس بسلوكه هو من خصائص المعصوم ﷺ، أما غيره فلا يستطيع أن يقول من عنده هذا جائز، وهذا غير جائز، ومن كان ذلك شأنه فجدير به أن يَغُضّ من صوته، في شبه دائرة جهله فيها أكثر من

علمه، وهي قاعدة تشمل سائر النوازل، فالصّوفي كغيره ملزوم بخفض الجمجمة وسلب الاختيار أمام الشّرع الشّريف والوضع الإلهي المقدَّس.

نعم؛ إنه لا يبعد أن يأتينا الخصم من طريق آخر يقول فيه: إنّ ما لم يثبت فعله عند السَّلَف لا يَسوغ لنا أن نتعبَّد به، أو نتَّخذه قُرْبة نرجو الثّواب عليه، فنقول له: نعم، والأمر كما قلتم، والرّجاء في الله أن نكون نحن وأنتم على وتيرة واحدة في شبه هذه النقطة، ولكن أظنّك لا تنسى ـ يا حضرة الأخ ـ، ولا يفوتك كون الأسماء الإلهيّة مشروعة للتعبّد بتلاوتها، بمقتضى قوله جلَّت قدرته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾ [الأعراف، ٧: ١٨٠] وهي مفردة، ومع كونها مفردة لم تنص الآية الكريمة ولا غيرها عن كيفيّة الدعاء بها من جهة الصّيغة، أو التركيب ونحوه، وما أظن ذلك إلّا مراعاة لأحوال السّائرين والمتوجِّهين لله، حيث أنهم مختلفون من جهة القوّة والضّعف، والرّغبة والرّهبة والشّوق والاشتياق، والناس طبقات والشّوق مراتب، وأسرار الخَلق متباينة من جهة علاقتهم مع الله عزّ وجلّ، ومن تلك

الحيثيَّة لا يتأتّى حصر ما كان يجري على ألسنة السَّلَف من صيغ الأدعية والأذكار، حتى نستطيع أن نقول هذا الاسم لم يكن ذكرًا للسَّلَف على سبيل القَطع، أو هذا الاسم كانوا لا يرونه ذكرًا، كل ذلك لقصورنا عن الإحاطة بجميع ما كان يجري على ألسنتهم في خلواتهم وجلواتهم وسقمهم وعافيتهم، ومن البعيد أن نعتقد كون الصحابة رضي الله عنهم ما كان يمر على ألسنتهم اسم الجَلالة مكرَّرًا «الله الله».

برأهم الله من مثل ذلك، وهنا يحسن بي أن نقدِّم لكم ما هو شبه دليل في النازلة، لتعلم كون الأمر كان أوسع مما نظن. أخرج الرافعي في تاريخ قزوين وأثبت العزيز حسنه عن عائشة رضي الله عنها أنه رأى مريضًا يَئِنُّ في حضرته ﷺ فنهاه بعضهم وأمره بالصّبر، فقال النبي ﷺ: «ذروه يئن فإنه يذكر اسمًا من أسماء الله تعالى».

وإذًا؛ فماذا ترى ـ يرحمك الله ـ في هاته الواقعة، على الفرض لو أن ذلك المريض كان متلفظًا باسم الجَلالة مكرّرًا «الله الله» بدل قوله «آه آه» أكان يصح من ذلك الصّحابي

توجيه الاعتراض عليه؟ كلَّا! فإنّ المَقام يأبى ذلك على ما يظهر، وما كان اعتراضه إلَّا لما فاته من إدراك معنى كلمة «آه» من كونها اسمًا من اسماء الله تعالى، حتى أرشده النبي ﷺ لذلك بقوله: «ذروه يئن، فإنه يذكر اسمًا من أسماء الله» وأظنه دليلاً كافيًا على ما يظهر، وحجّتنا فيه كون كلمة «آه» مفردة، فقرَّر النبي ﷺ على ذكرها بتلك الصِّفة، وهذا زيادة على ما استفدناه من كونها اسمًا من أسماء الله، ولا شك أنها فائدة ثمينة تبعث الإنسان على حُسن الظَّن بالذّاكرين كيفما ذكروا.

وعلى فرض أن لا يستقيم ما قدّمناه عندكم حجة في طريق الاستدلال، فلا يسمح الإنصاف لنا ولا لكم أن نقول إلَّا أنّ المسألة خلافيّة، ومهما ثبت تقريرها بتلك الصِّفة فالمسألة اجتهاديّة، وإذًا فما هو وجه إلزامكم لنا ـ يا حضرة الأخ ـ أن نأخذ بقولكم، أو ندخل تحت اجتهادكم، في حال أننا لم نلزمك بمثل ذلك؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أنكم كيفما شددتم النكير على إخوانكم العلاويين في شبه هاته النازلة، فلا

تستطيعون أن تجعلهم غير مسبوقين بمن كان يذكر ذلك الاسم بانفراده، ويأمر بذكره أيضاً من أئمة الدين وهداة المسلمين. وها أنا أستطرد لكم نقل البعض ممَّن تطمئنون إن شاء الله بالنّقل عنه، لاحتمال أنه لم يبلغكم ذلك، وإلّا لما رأيتم العلاويّين ممَّن انفرد به فنظرتموهم بعين ملؤها احتقار.

فأقول: ذكر في مفيد الراوي للشيخ سيدي مصطفى ماء العينين عن ابن جرير في تفسيره أنه كان يقول: «بمطلوبية الاقتصار على ذكر الاسم المفرد للمريد في حال سلوكه».

وجاء في الحديث: «إنَّ العَبد إذا قَال الله صَعَدَ مِنْ فِيه عَمود مِنْ نُور فينتَشِر في الأُفق، ثُم يَصعد إلى عَنان العَرش فيملأ الكَون طراً، فيقول له الله كف، فيقول وعزّتك وجلالك لا أكفّ حتى تغفر لمن ذكر هذا الاسم، فيقول: وعزّتي وجلالي لقد آليت على نفسي قبل أن أخلق الدنيا لا أجريه على لسان عبد من عبادي إلّا وقد غفرت له» من مفيد الراوي.

وذكر في شرح المباحث الأصليّة لابن عجيبة رحمه الله، أنّ أبا حامد الغزالي رضي الله عنه قال: لقد أردت في بداية

أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد، والصّوم والصّلاة، فلمّا علم الله صدق نيَّتي، قَيَّض لي وَلِيّاً من أوليائه فقال لي: يا بني، اقطع عن قلبك كل علاقة إلَّا الله وحده، واخل بنفسك، واجمع همّتك وقل: الله الله الله.

وقال ـ أعني الغزالي رضي الله عنه ـ في مشكاة الأنوار ما نصّه: ما دمت ملوثاً بما سوى الله فلا بد لك من نفي لا إله، وإذا غبت عن الكل في مشاهدة صاحب الكل، استَرَحت من نفي لا إله، ووصلت إلى الإثبات ﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام، ٦: ٩١].

ثم قال: متى تخلّص من ذكر ما لم يكن، وتشتغل بذكر مَن لم يزل، فتقول: «الله» فتستريح مما سواه، وقال أيضاً: افتح باب قلبك بمفتاح قولك: «لا إله إلَّا الله» وباب روحك بقولك: «الله»، واستنزل طائر سرك بقولك: «هو هو».

ومما ذكره أيضاً في كتابه: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في الكلام على اسم الجلالة أعني قولنا «الله»: ينبغي أن يكون حظ العَبد منه، يعني ذكر هذا الاسم التأله،

ونعني به أن يكون مستغرق القلب والهمّة بالله تعالى لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه. أهـ.

هذا ما اختاره الغزالي لكل مؤمن أن يجعل حظّه من هذا الاسم.

فإن اخترتم ـ يا حضرة الأخ ـ ما اختاره الغزالي لكم فذاك، وإلّا فلا تطمع بأن يكون عدم اختياركم حُجَّة على مَن وافق اختيار الغزالي.

وهب أن قولكم يصلح أن يكون حجة على شبه العلاويين، فهل يكون حُجَّة على مَن سَبَقَهم أيضاً من العُلَماء الأعلام المفسِّرين، كالفَخر الرّازي وغيره؟ فقد التزم على نفسه، وصرَّح باختياره لذكر هذا الاسم حسبما ذكره في تفسيره الكبير عند الكلام على البسملة حيث يقول: واعلموا أيها الناس أني أقول طول حياتي «الله»، وإذا مِتُّ أقول «الله»، وإذا سئلت في قَبري أقول «الله»، ويوم القِيامة أقول «الله»، وإذا أخَذت الكِتاب أقول «الله»، وإذا وزنت أعمالي أقول «الله»، وإذا جزت على الصِّراط أقول «الله»، وإذا دخلت

الجَنّـة أقول «اللّٰه»، وإذا رأيت اللّٰه أقول «اللّٰه» . . . الخ.

كل هـذا قاله الرّازي عـلى رغـم أنـف مَن لم يَقُـل «اللّٰه».

وإننا ما تكلّفنا إلى نقل هاته الجُمَل إلّا لتعلم - أيُّها الأخ - كون العلاويّين لم يكونوا مبتدعين بقولهم «اللّٰه»، كما توهّمتموه فيهم، وليكن في علمك أيضًا أنّ عموم المتصوّفة يشاركونهم في ذلك، ويعتقدون أنه الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به سبحانه وتعالى أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى، وليس هذا مقصورًا على اختيار الصوفيّة، إنما هو اختيار غير واحد من الأئمّة وجُلّ المحدثين والأصوليّين، ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد بيرم الخامس رحمه اللّٰه في «النصرة النبويّة»، وهو ممَّن يقول بجواز ذكر اسم الجَلالة قال: إنه ورد في «رد المحتار» للسّادة الحنفيّة: روى هشام عن محمد بن أبي حنيفة رضي اللّٰه عنه، أنه «اسم اللّٰه تعالى الأعظم» وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء، ومما استشهد به شيخ الجماعة أبو محمد عبد القادر بن يوسف الفاسي رضي اللّٰه عنه في نوازله على مشروعيّة ذكر اسم الجَلالة بانفراده، قال بعد كلام: وفي الصحيح: «لا تَقُوم السّاعة حتى لا يَبقى على وَجه

الأرض مَنْ يَقول الله الله» وهوشاهد في الجملة لذكرهذا اللفظ وحده، سِيَّما على رواية النّصب، ولا نزاع في التلفُّظ بالاسم الكريم وحده، وحيث لا نزاع، فما المانع من أن يكرِّره الإنسان مرارًا كثيرة، وما وجه إنكاره؟ أما لفظ الحديث المتقدِّم حسبما رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في صحيحه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه هكذا: «لا تَقوم السّاعة حتى لا يُقَال في الأرض الله الله».

قلت: وأبلغ شاهد عليه في هذا الحديث، هو مجيء لفظ الجَلالة مكرَّرًا فكان صريحًا في إرادته ذكر ذلك الاسم، أما لوجاء غير مكرَّر لاحتمل أن يكون المُراد به، حتى لا يبقى على وجه الأرض من يعتقد وجود «الله» أما مع وجود التكرار فلا احتمال.

ثم أقول: وعلى فرض أنه لا يوجد في الشّرع الشّريف أي دليل على جواز تكرار ذلك الاسم، فكذلك لا يوجد فيه أيضًا ما يفيد المنع من تكراره على اللسان، أو مروره على القَلب، بل ليس في الشّرع على ما يظهر ما يمنع من تكرير أي اسم من أسماء المحدثات، وإذا صَحّ هذا، فكيف يوجد ما يمنع من

التلفُّظ باسمٍ من أسماء الله الحُسنَى؟ فحاشا أن يوجد في الشّرع ما هو من قبيل هاته التعسُّفات والتنطعات، التي تلزم المؤمن أن لا يُرَدِّد اسم مولاه على لسانه، بأن لا يقول «الله الله»، أو ما في معناه من بقية أسمائه، والله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾ [الأعراف، ٧: ١٨٠] أي اسألوه واذكروه بها. وهذا ما فهمناه نحن، واخترناه لأنفسنا، ولكم أنتم حَقّ الاختيار لأنفسكم، وليس لكم أن تلزمونا الوُقوف عند اختياركم، حيث أننا لم نلزمكم بمثل ذلك؟

ثم إني أنهي هذا الفصل باستطراد جملة تكون تتميمًا للفائدة أقول فيها: إنه على فرض تسليم وجود مَن يقول بكراهة هذا الاسم «واستغفر الله» فإنهم نصُّوا على ما اختلف فيه بين كراهته وندبه، يكون أرفع درجة من المُباح.

ومن ذلك ما ذكره الأجهوري في شرحه على خليل، نقلاً عن المواق، بهاته العبارة: «إنّ ما اختلف في ندبه وكراهته، فعله أفضل، وهكذا ما اختلف في سنيته وكراهيته لا يكون أحَطّ رتبة من المُباح، بل نصُّوا على ما اختلف في مشروعيّته أنه

أرفع درجة من المُباح» . هذا وإن ما سُقناه لكم من النقول نيّتنا فيه أن يكون شافعًا عندكم في قبول اعتذاراتنا عن العلاويين فيما ارتكبوه من ذكرهم ذلك الاسم، والله يقبل معذرة الجميع آمين. هذا ما يرجع للوجه الأوّل من جهة مشروعيّة ذكر الاسم وعدم مشروعيّته.

أما ما ذكرتموه أو نقول أنكرتموه من تلفظهم باسم الجَلالة وإجرائه على ألسنتهم حسبما قلتم بمناسبة، وبغير مناسبة في الطُّرقات، ونحوها من الأماكن الغير اللاَّئقة، وقد ظَهَر لكم أنّ ذلك خروج منهم عن مطلوبيّة احترام الأسماء الإلهيّة، وأن فعلهم ذلك لم يكن من المقرَّرات الشرعيّة، خصوصًا وأنّ أحدهم إذا طَرَق الباب يقول «الله»، وإذا ناداه إنسان يقول «الله» إلى غير ذلك ممّا لم يجمل في نظركم.

وها أنا ذا أقول: إني كيفما تساهَلت في الجَواب عن هاته المسألة، إلّا وأراني ملزومًا ـ بعد استسماحكم ـ أن أقول لكم: إنه قد فاتكم من الاطّلاع على الآثار الواردة في شبه قضيّتنا هذه، القدر الذي دفعكم للإنكار على العلاويين فيما ارتكبوه،

ولولا ذلك لما تَصَدَّيْتُم لدَفع الحَقّ، اعتمادًا على ما بأيديكم من التوهُّم، من كون الأمر عند السَّلَف على خلاف ذلك، وحقيق لو أنه بلغكم من النّصوص ما يثبت نظيره لتصفَّحتموه بمهجكم، ورفعتموه فوق رؤوسكم، وهو أجمل ما نراه أليق بكم، وينبغي لي أن أعتقده في أمثالكم، وها أنا أستطرد لكم من ذلك ما فيه كفاية إن شاء الله، في كون ما عليه العلاويين من ملازمتهم للأذكار بغير قيد، لم يكن خارجًا عن السُّنّة، ولا مزاحمًا لها، وهذا إذا لم نَقُل هو عين السُّنّة، بناءً على أنّ ما جاء في الذِّكر من الأمر، يفيد الشّمول، بحيث أنه غير مفيد بِوَقت دون وَقت، أو مَكان دون مَكان، والمعنى أن سائر الأزمنة والأمكنة مناسبة لذكر الله، والإنسان مطلوب في جميع ذلك بعمارة أوقاته، وبرفع لوازم الغفلة، من أن تستحكم على مشاعره وتستولي على إدراكاته.

وبعبارة أخرى: إنّ الذِّكر محمود على كلّ حال، والغَفلة مذمومة على كلّ حال، ولا شَك أن ما يجمل بنا وبكم في هذا الباب، هو الالتجاء للكتاب والسُّنّة، أمّا ما جاء في الكتاب

من الأمر بالذِّكر، والتّحذير من الغَفلة عنه، فقد لا يحتاج إلى سَردِه لوضوحه خصوصًا بين أمثالكم، وأمّا ما جاء في السُّنّة، فهو ليس بأقلّ ظهورًا منه، وعلى كلّ ذلك، لا يمنعنا من تسطير بعض النّقول النبويّة، وشيء من التقريرات المذهبيّة، لندرك مراد الشّارع منا، ونعمل به إن شاء الله؛ فَمِن ذلك ما أخرجه ابن ضريس، وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد الخدري: «عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كلّ شَجَر وحَجَر» والمُراد من الإطلاق تعميم الزّمان والمَكان، ونظير هذا ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أنَس بِسَنَد صحيح، ومثله حديث عائشة رضي الله عنها أيضًا: «أنه كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» قال العلقمي: قال الدميري: مقصود الحديث أنه ﷺ: «كان بذكر الله متطهرًا، ومحدثًا وقائمًا ومضطجعًا، وماشيًا وراكبًا».

ونظير هذا، ما ذكره النّووي في شرحه على مسلم، والمعنى أن الذِّكر كان عنده ﷺ لا يختصّ بِحَال دون حال، ولا بِمَكان دون مَكان، ومَنْ تَتَبّع دواوين العُلَماء في هذا الباب،

يَجِد ما يُفِيد إجماع الأمّة على الأخذ بالإطلاق في مسألة الذِّكر، ومن ذلك ما نقل عن السّادة الحنفيّة حسبما جاء في «نجوم المهتدين» عن القاضي خان أنه قال: الذِّكر في الأسواق ومَجالس الغفلة والفسوق جائز بنيَّة أنهم مشتغلون بالدُّنيا، وهو مشتغل بالتّسبيح والتّهليل. فتأمَّل يرحمك الله قوله: مجالس الغفلة والفسوق، تجد العلاويين لم يبلغ بهم الاستهتار إلى ذلك الحَدّ، وبالجملة، إنهم أجازوا الذِّكر حتى في الحَمَّام، الذي هو محَلّ الغَفلة وكشف العَورة، زيادة على كونه مستودع القذورات، حسبما جاء في «مجموع النوازل» قال ما نصّه: إنّ قراءة القرآن في الحَمّام بصوت رفيع تُكْرَه، وبِصَوت خفي لا تُكْرَه، ولا يُكْرَه التّسبيح والتّهليل ولو برفع الصَّوت. وهكذا جاء في غير هذا من بقيّة دواوين السّادة الحنفيّة، والفتاوى الخانيّة والحساميّة، والسراجيّة والمتلفّظ، والجناس، مما استطرد ذكره صاحب «النصرة» وإذا كان ذِكْر الله جائزًا في نحو الحَمَّام، فما هو ذَنْب العلاويين إذا ذكر أحدهم في نحو الطّرقات مثلاً؟ وعلى فرض أن تشمئزّ منه بعض النّفوس الغير

المتعوّدة على استماع الأذكار، فالواجب على المنصف إذا أراد الحكم على غيره، أن لا يحكم إلّا بما يراه حكمًا عند الله ورسوله ﷺ، لا بما يختاره هو بطبيعته، ويستحسنه في نظره، وغير خافٍ أنّ كَوْن الإنسان قد يَستحسِن شيئًا ويستقبحه غيره، ولهذا كان الواجب علينا أن لا نرجع للاستحسانات، ونكتفي باختيارات دون اختيارات الشّرع لنا، وإذًا فالواجب على مَن يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يقف عند النّصوص الشّرعيَّة، ويعمل بمقتضاها، بدون ما يختار من عند نفسه شيئًا إلّا ما اختاره الله له، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾ [الأحزاب، ٣٣: ٣٦].

هذا وأنت - يا حضرة الأخ - مهما كان من شريف مقاصدك الاطِّلاع على ما في المَسألة من النّصوص وأقوال العُلَماء في ذلك حسبما ذكرت، فقد يكفيك ما سطرناه، وعلى كل حال فهو شيء في الجملة، وعلى فرض احتياجكم لما وراء ذلك، وكثير ما يحتاج المؤمن إلى الزّيادة من الخَير، أقول لكم بعبارة أخرى: إن الذِّكر قد صرح بجوازه غير واحد من الأئمّة، حتى في الكنيف، وما

ذكرنا لكم هذا، إلّا لتدركوا وجه ما استبعدتموه من جواز الذِّكر، في نحو الطرقات. قال القاضي عياض في إكمال أخر كتاب الصلاة: «إنَّ مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص والشّافعي ومالك وابن بشير، جواز ذكر الله تعالى في الكنيف»... الخ. وفهم أيضًا من كلام ابن رُشد في سَماع سحنون ومن كلام البرزلي نقله أبو الفيض الشيخ محمد الكتاني في رسالة له على تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النور، ٢٤: ٢٧] وعنه أيضًا في «سنن المهتدين» ما نصه: قال اللخمي: «يذكر الله قاضي الحاجة قبل دخوله لموضع قضاء الحاجة» وروى عياض جوازه فيه (القاضي) ذهب بعضهم إلى جواز ذكر الله في الكنيف، وهو قول مالك، والنخعي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقال ابن القاسم «إذا عَطس وهو يُبَوِّل يحمد الله» قال جامع الرسالة المتقدّم ذكره: فإن قلت أليس قد قال الشيخ خليل «وبكنيف نحي ذكر الله» وقد قيل بالمنع، ويتبادر للفهم من كلام ابن عبد السّلام، وخليل

في التوضيح، أن المنع على التحريم، قلنا: كما أنه يفهم من كلام هؤلاء أنّ المنع على التحريم، فهم من كلام ابن رُشد وعِياض وصاحب الطراز أن المنع عند مَنْ يقول به، إنّما معناه الكَراهة، وهو صريح كلام الجزولي وصاحب المَدخل، ومن فهمه على التحريم انتقده عليه الأئمّة، منهم الإمام أبو عبد الله الحطّاب، قال: وهو غير ظاهر، إذ ليس في كلام أحد من المتقدِّمين ما يوافقه، ولم يصرحوا بالتحريم، قال: فيتعيَّن حمل كلامهم على الكَراهة ليوافق كلام المتقدِّمين.

قلت: وما كان استجلابنا لهذه النّصوص على نيّة ترجيح أحد المذهبين من جهة جواز الذِّكر في الكنيف أو عدمه، إنما ذكرناها ـ يا حضرة الأخ ـ، لتعلم كيف أجاز الأئمَّة الذِّكر حتى في مثل ذلك المَكان، الَّذي هو أخبث بقعة تعتبر على الإطلاق، وعلى فرض أنك تجد من يُحَرِّك لسانه بِذِكر الله، وهو على مثل تلك الحالة، فلا تستغرب ذلك منه، بأن تراه مبتدعًا ضالًّا، ما دُمْتَ ترى من هو كالشّافعي ومالك قائلين بجواز ذلك، وكَفى بهما قُدْوَة في الاعتصام بحبل الله، والاعتصام

بسُنَّة رسول الله ﷺ ولا شَكّ أنه بهذا النَّقل ونحوه، يَتَّضِح كون العلاويين مظلومين فيما أنكرتموه عليهم، على أنهم لم يبلغ بهم الاستهتار في الذِّكر، الحَدّ الَّذي انتهى إليه الجَواز حسبما ذكر من أنه لا يمتنع الذِّكر ولو بكنيف، أو ما هو كمحال الفسوق، إذ غاية ما ينقل عن بعض العلاويين، أنه إذا نَبَّهَه أحد يقول «الله»، وإذا نَبَّه هو أحدًا يقول «الله» وهلم جرّا، وفي ظَنّي أن شبه هذا لا يترتَّب عليه أدنى مكروه فيما يظهر، وهذا إذا لم نقل لكم إنه من السُّنّة بمكان، وحتى إذا لم يكن منها على التقدير يكون أشبه بالحَقّ منه بالباطِل.

نعم؛ قد يقول القائل: جَلَّت أسماء الله أن تجعل آلة يتوصَّل بها لغير الأخرويّات، فلا يجوز أن توضع للتنبيه والاستلفات ونحوهما، فأقول: هذا يستقيم لو لم يكن في الشَّرع ما يسمح بنظيره، أو نقول: يأمر به، وأنت إذا تتبَّعت المَظان في شبه هاته النوازل، تجد مراد الشّارع منا يقرب من الصَّراحة بالأمر في مثل ذلك، ألا ترى مشروعيّة الآذان، فلا شَكّ أنك تجدها وضعت للإعلام بدخول الوَقت، أو للأمر بالحضور لأداء

الفريضة، وكان الأقرب والأنسب للمقام أن ينادي: الصلاة قد حَضَرَت، أو الوَقت قد دَخَل، وما في معنى ذلك، وإذًا فَلِمَ جاء بِسَرد العَقيدة بتمامها، بدلاً عَمَّا ينوب عنها من الألفاظ الوجيزة؟ وعليه فَهَل تستطيع أن تقول لماذا صيَّرت أسماء الله آلة يتوصَّل بها إلى نداء المصلِّين؟ ونظير هذا أيضًا مشروعيّة التّسبيح في الصّلاة إشعارًا بأن يكون المصلّي متلبِّسًا بها، أو إشعارًا بما يطلبه به المَقام من الضروريّات.

ومن ذلك أيضًا ما وَرَد عن الصّحابة رضي الله عنهم من أنهم كانوا يوقظ بعضهم بعضًا بنحو التكبير، يشهد لذلك ما جاء في الصحيحين في قضيّة الوادي لما ناموا عن صَلاة الصّبح، وكان أوَّل ما استيقظ أبو بكر، وكان عمر رابع مستيقظ، فأخذ في التكبير حتى استيقظ النبي ﷺ، فتأمّل يرحمك الله كيف كانوا يستعملون الأذكار في إيقاظ النِّيام ونحو ذلك، وهكذا كان شأنهم في الحُروب وغيرها، قد يستدلّون على أشياء بالتّكبير، ويشبه هذا ما نَصّ عليه «ابن رُشْد» على قول خليل: (وجازَ الافتِخار عِنْدَ الرَّمي والتّسمية والصِّياح، والأَحَبّ ذِكر

الله) «ابن عَرَفة» . وهكذا عند ظَنّ الإصابة بالرَّمي، وذِكر الله أحَبّ إلي. أهـ. تأمَّل كيف اختار ذكر الله سببًا للإعلام بوقوع الإصابة، وما كان اختيارهم ذلك إلَّا لعلمهم بمراد الشّارع من جهة مقصوده في تعميم الذِّكر في سائر الحالات.

ثم أقول: إنه لما كان من المحتمل أن يرى ما استجلبناه من النّصوص غير كاف من جهة صريح الدّلالة، ظَهَر لي أن أذكر جملاً ممّا وَرَد في خصوص مطلوبيّة الاستئذان بذكر الله عزّ وجلّ، وبذلك يدرك الأخ الكريم بغيته التي كان يتطلَّبها بإرادته الوقوف على نصوص الشّارع في مثل ذلك.

فأقول: إنه ممّا وَرَد من صريح الحديث في هذا الباب، قوله ﷺ: «إذا أتيتم أبواب دياركم فأعلنوا بذكر الله» نقله العَلَّامة السّنوسي صاحب العَقائد في كتابه «نصرة الفقير في الرَّدّ على أبي الحَسَن الصَّغِير» والَّذي يزيد هذا النَّصّ متانة في المعنى، هو ما ذكره أكثر المُفَسّرين في معنى الاستئناس الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ...﴾ [النور، ٢٤: ٢٧] نَقَل الفَخر الرّازي

في تفسيره الكبير، بعد ما تكلَّم على الاستئناس من عِدّة وُجوه، قال: وقال عكرمة: هو التّكبير والتّسبيح ونحوه، يعني من بقيّة الأذكار، وفي تفسير النيسابوري المسمّى «بغريب القرآن» نظير ما نقله الرّازي بعينه. ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة، والترمذي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والطبراني، عن أبي أيوب قال: قلت يا رسول الله، أرأيت قول الله: ﴿...حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النور، ٢٤: ٢٧] هذا التّسليم قد عرفناه، فما الاستئناس؟ قال: «يتكلَّم الرّجل بِتَسبيحة وتَكبيرة وتَحميدة ويَتَنَحْنَح فيؤذن أهل البيت» نقله السّيوطي في كتابه الدُّرّ المَنْثور في تفسير القرآن بالمأثور.

ونحن نكتفي بنقل ما سبق، عن تتبع ما ورد في هذا الباب من الدلائل الصّريحة عن مشروعيّة الاستئذان بذكر الله، وأنه لا نزاع بين الأئمّة في كَون الذِّكر في الاستئذان أفضل من الصياح ودَقّ الباب، خصوصاً إذا كان بعنف، وأنت يا حضرة الأخ مهما أمعنت النّظر بإنصاف فيما قدَّمناه، يتّضح عندك، أن السُّنّة لما بعدت الشقة بينها وبيننا، تمثَّلت في نظرنا في

شكل البِدعة، فلهذا قُمْنا نحاربها بغير شعور، وعلى غير علم منّا، ألهمنا الله وإياكم رشدنا آمين.

وقبل اختتامنا هذا المكتوب المبارك علينا وعليكم إن شاء الله، أذكر لكم من بعض الآثار المرويّة في هذا الباب، وأرجوكم أن تعطوها حظّها من الاهتمام، كما هو شأن أمثالكم.

ومن ذلك حديثان شريفان كل منهما يفيد تلخيص جميع ما قَدَّمناه من جهة وُجوب استغراق الزّمان والمَكان، وعمارة سائر الأوقات بذكر الله عزّ وجلّ.

الحديث الأوَّل هو ما أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن أبي الدنيا، والنسائي وابن حبان، واللفظ لأبي داود، قال ﷺ: «مَن قَعَدَ مَقعَدًا لم يذكر الله فيه، كان عليه من الله ترة» قال الحافظ عبد العظيم: الترة بكسر التاء، وتخفيف الراء، النقص وقيل التبعة.

الحديث الثاني هو ما أخرجه أبو داود والحاكم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما مِنْ قَوم يَقومون مِن مَجلس لا يَذكرون الله فيه، إلَّا قاموا عن مثل جيفة حِمار، وكان عليهم

حَسْرَةَ يومَ القيامة» .

وإلى هنا انتهى بنا الجواب والتوفيق بيد من إليه المرجع والمآب، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رَب العالمين.

# الله
# القصد المجرَّد في مَعرفة الاسم المُفْرد
## الشيخ ابن عطاء الله السكندري

[الصفحات ٢٤- ٣٦/ ٩٧- ١٢٣]

إنَّ هـذا الاسم، المفرد، المعظَّم، المقدّم المجرّد، أعـني «الله» عـزّ ذكره، هو اسم الذّات العليّـة، الموصوفة بصفـة الألوهيّـة المعروفة بنعوت الرّبوبيَّة، المتَّصِف بصفـة الأحديـة، المنفـرد بوحـدة الوحدانيّـة، المنعوت بصمدانيّـة الصمديّـة، المُنَزَّه عن جنس الكيفيّـة، وأنواع المثليّـة، المقُدّس عن أن يحيـط بمعرفة كُنْه إدراكه عقول البشريّـة. فهو: الله.

اسـم الإله، الواحـد، القديـم، الحَيّ، القيوم، العَـليّ، العظيـم، البـاقي، السرمـد، الكبير، المتُعـال، الموجود، المطـلق الوجود، الأزلي الذي لم يَزَل أوّلاً وآخـرًا، وظـاهرًا وباطنًا، ولا يـزال، المستحقّ بـالوجود الحقيقي، الواجـب الوجود، وكل موجود سواه مستمدٌّ منـه الوجود؛ فهو من حيـث ذاتـه هـالك فـان، ومن حيـث موجـده ثـابت موجود. وهو أعظم الأسمـاء؛ لأنـه دالّ عـلى الذّات العليّـة، الجامعـة لكل كمـال صفـات الألوهيّـة، وكمـال الذّات هو كَمـال الوجود ودوامـه أزَلاً وأبَـدًا. بـاق سرمـدًا، واستحـال عليـه العَـدم، كمـا وَجَـب له الوُجود والقـدم. قـال الشّـاعر:

جَلا لُكَ يَا قُدُّوسُ لَيسَ لَهُ حَدُّ    كَذَاكَ صِفَاتُ القُدْسِ لَيْسَ لَهَا عَدُّ
تَعَالَيْتَ عَنْ شِبْهِ الخَلِيقَةِ كُلِّهَا    وَمِنْ وَصْفِ عَلْيَاكَ الطَّهَارَةُ والمَجْدُ
قَضَاؤُكَ مَحْتُومٌ وأَمْرُكَ نَافِذٌ    وَمَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدُّ
لَكَ المَثَلُ الأَعْلَى وَكُلٌّ مُعَبَّدٍ    كَفَاهُ اعْتِزَازًا أَنْ يُقَالَ هُوَ العَبْدُ

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد: هل هو مُشْتَقّ أم لا؟ والكَلام فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: من طريق اللّغة.

الثاني: من طريق الحكمة.

الثالث: من طريق المعرفة.

فأمّا الوَجه الأوَّل: من طريق اللغة فعلى قولين؛ قائل باشتقاقه وإطلاقه، وقائل بالتوقُّف عنه ومنعه. فالمتوقِّف المانع قال: لا يجوز اشتقاقه من معنى بوجه أصلاً فإنّ الله تعالى قال: ﴿... هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم، ١٩: ٦٥] وفيه ثلاثة معان.

الأوَّل: هل تعلم أحدًا تسمى الله غير الله؟! أو اسمًا غير ما سمَّى به نفسه.

الثاني: هل تعلم أحدًا يَستحِقّ كمال الأسماء والصِّفات ما يستحقّه الله ويتّصِف به حقيقة؟!

الثالث: هل تعلم اسمًا هو أعظم من هذا الاسم المفرد، أو له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخَلْق؟! فهو لا يشبهه شيء. وإنّما هو دالّ على ذات الإله الَّذي قامت به الصِّفات، بمثابة اسم العلم الدَّالّ على المُسَمَّى من غير اشتقاق له من شيء. وهو اسم تَفَرَّد به الله سبحانه وتعالى واختَصَّه لنفسه، ووصف به ذاته، وقدَّمه على جميع أسمائه وأضاف أسماءه كلها إليه، وكل ما يأتي بعده من الأسماء نَعت له، وَصِفَة لوصفه، ومتعلِّقة به، وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى وتُعْرَف في الأغلب بالإضافة إليه، يُقال إنها من أسماء الله تعالى، ولا يُقال من أسماء الصّبور، أو الغَفور، أو الجَبّار، وكذا الإسلام لا يتم إلَّا بذِكر هذا الاسم، ولا يقبل اسم عوض منه، ولا ذكر بدل عنه، بأن يُقال لا إله إلَّا الغَفّار أو الرَّحيم، أو الجَبّار، وإنَّما يُقال لا إله إلَّا الله، وبذلك نَطَق القرآن والحديث. لأنه أدل على كُنه المَعاني الإلهيَّة واختصّ

بها، وهو بها أشهر، وأتَمّ وأظهَر، فاستغنى عن التّعريف بغيره من الأسماء، وعرف غيره بالإضافة إليه، وجعله للنطق والذِّكر والتعلُّق، دون الاتّصاف به والتخلُّق. قال الشّاعر:

يا ذا الَّذِي قَدْ دَنَا بالبَحْثِ والطَّلَب    عَنْ سِرِّ مَعْنًى سَمَا عَنْ رُتْبَةِ النَّسَب
اقْبَلْ نَصِيحَةَ مَنْ قَدْ قَالَ معْتَرِفًا    لَا تَجْعَلَنَّ إلى التَّشْبِيهِ مِنْ سَبَبِ
لاسْمِ الإِلهِ الَّذِي قَدْ جَلَّ مُنْفَرِدًا    عَنِ اشْتِقَاقٍ وَعَنْ اسْمٍ لِذِي أَرَبِ
قَدِ ارتَضَاهُ لَهُ إِسْمًا وَنَزَّهَهُ    بالذِّكْرِ عَنْ خَلَفٍ فِي سَائِرِ الكُتُبِ
واخْتَصَّهُ باسْمِهِ فِي ذَاتِهِ فَأَتَى    مِنْ بَيْنِها سَائِرُ الأَسْمَاءِ بالعَجَبِ
مِنْهَا الثَّنَاءُ الَّذِي قَدْ عَمَّ مُشْتَمِلاً    شُكْرًا عَلَى نِعَمٍ والذِّكْرُ فِي الخُطَبِ
فَأعْلِنْ بِهِ أَبَدًا وَاحْذَرْهُ عَنْ خَلَف    إنْ كُنْ ذَا هِمَمٍ أَوْ كُنْتَ ذَا أَدَبِ

والقائل بإطلاق اشتقاقه قال: هو مشتق من خمسة أشياء: من الوَلَه، ومن النَّجا، ومن الحجب، ومن العلق، ومن البقاء.

فأمّا اشتقاقه من معنى الوَلَه فأصله إله. والإله هو الَّذي يؤله له، ويُقْصَد في طلب الحوائج، ويفزع إليه في النوائب، ويرجى فضله ويخاف عدله. كما قال الشّاعر:

وَكَلْتُ إِلَيْكُمْ فِي بَلَايَا تَنُوبُنِي    فَأَلفَيْتُكُمْ عَوْنًا كَرِيمًا مُمَجَّدًا

وقيل: من معنى إله. زيدت فيه اللّام للتفخيم، فقيل: الإله، ثم حذفوا الهمزة المتخلّلة بين اللّامَين، وأدغموا اللّام الأولى التي للتّفخيم في اللّام الثانية التي للتعظيم، فعظمت فقيل «الله» واسم الله من الألوهيّة، هو اسم يوجب الوَلَه؛ إما لشدّة طرب العَبد وسروره، وإمّا لفرط شدة حزنه وخوفه وذعره؛ فيكون بين وقتين: وقت قبض، ووقت بسط. ففي حالة القبض يوجب له هيبة، يصحب طرفها دهشة. وفي حالة البسط يوجب له قرْبة، يصحب طرفها فرحة. فمن عرف ربّه فزع إليه ودعاه، ووله له وأعرض عمّن سِواه، وآثَرَ رِضاه على هَواه. قال الشّاعر:

لِلَّهِ دَرُّ الغانِيَات النُّزَّهِ سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مَنْ تَأَلَهُ

وأما اشتقاقه من معنى الحجب: فأصله لاه، ومعناه احتجب عن الخلق، وحجب أبصارهم عن رؤيته في الدنيا، وفي ذلك قال الشّاعر:

لاَهَتْ فَمَا عَرِفَتْ يَوْمًا بِجَارِحَةٍ يَالَيْتَهَا ظَهَرَتْ حتى رَأَيْنَاهَا

فمن عرف ربه راقبه، وحاسب نفسه، وعلم أنه يراه من حيث لا يراه؛ فهو يستحيي منه.

وأمـا اشتقاقـه من معـنى العـلو والرّفعـة: فـأصله أيضـًا لاه. يُقـال لاهـت الشـمس إذا عَـلَت وتوسَّطَـت قُبّـة السّماء في عُـلُو مركزهـا واستَوَت حـالة وقوفهـا. كمـا قيـل:

لاهَ الإلهُ وَفِي أَعْلَى العُـلَا حَقًّـا حَسْبِي بِـهِ فِعْلِي إليـه يَرْقَى

وأمّـا الكلام علـى الوجـه الثّـاني من طريق الحكمـة: فقيـل فيـه: إنما تفـرَّد الحَقّ سبحانـه بهـذا الاسـم المفـرد، أعـني «الله» ومنـع الغـير أن يتسـمَّى بـه، وقَبـض الخَـلق عن الادِّعـاء فيـه، والتخـلُّق بـه، والاتّصـاف بوصفـه، لأجـل عَظَمة الألوهيّـة وكبريائهـا. قـال الله تعـالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيـمِ ﴾ [النـمل، ٢٧: ٢٦] وقـال: ﴿... أَءِلَٰهٌ مَّـعَ اللَّهِ ۚ بَـلْ أَكْثَرُهُـمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النـمل، ٢٧: ٦١]، ﴿... أَءِلَٰهٌ مَّـعَ اللَّهِ ۚ قُـلْ هَـاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النـمل، ٢٧: ٦٤]، وقـال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَـبُ جَهَنَّـمَ أَنتُـمْ لَهَـا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَـةً مَّـا وَرَدُوهَـا ۖ وَكُلٌّ فِيهَـا خَـالِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنبيـاء، ٢١: ٩٨- ٩٩]. وقـال عـزَّ من قـائل: ﴿ فَتَعَـالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْكَرِيـمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَـدْعُ مَـعَ اللَّهِ

إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ... ﴿١١٧﴾ [المؤمنون، ٢٣: ١١٦- ١١٧]. وفي الحديث الصحيح قال الله تعالى: «الكِبْرِيَاءُ رِدائي والعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَن نَازَعَنِي فِي أَحَدِهِمَا قَصَمْتُهُ» أي: أهلكته وأدخلته النار. واسم الألوهيّة عبارة عن وجوه القُلوب متوجِّهة بالجَمع والإخلاص إليه، ووجوه الأجسام وأعضاؤها مقبلة بصدق الخُشوع في العِبادة عليه. فإنه الواجب الوجود المطلق الحقيقي الحَقّ. وكل ما سِواه هالك، فان، باطل. كما قال عليه السّلام: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

وأما الكَلام على الوَجه الثّالث من طريق المَعرفة: فقيل: إنَّ الحَقّ سبحانه اختار هذا الاسم أعني «الله» لثلاثة أشياء:

أحدها: لذاته. فهو خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره؛ لا بالمجاز ولا بالحقيقة، لما فيه من الأسرار والحِكَم والمَعاني، ومن الاختصاص والتّعظيم.

الثاني: أنه جامع للمعاني اللطيفة، والصِّفات الشَّريفة. فإن غيره من الأسماء فيه معنى واحد، أو مَعنَيان

يختصّ بـه. كالخالق والفاطر، والمخترع، والمحدث، والمبدئ، والمبتدع، وما ماثل ذلك كله بمعنى واحد، وإن كان لا يخلو كل اسم من خصوصيّة ما يمتاز بها. ومثل الرازق، والمنعم، والمحسن، والمتفضّل، والمعطي، والجَواد، والكريم. كل ذلك أيضًا الغالب عليه معنى واحد. وسائر الأسماء والصِّفات قد يتعدَّد لفظها، ويتَّفق معناها وقد لا يتعدَّد، ويختص بمعنى واحد، واسم الله معناه لا يُحْصَى ولا يُعَدّ، ولا يُحْصَر ولا يُحَدّ، وكل الأسماء راجعة له، مضافة منسوبة إليه، ومشيرة بخواصِّها في الحقيقة عليه، وتعرف به جميع الأسماء والصِّفات، ولا يُضاف هو إلى شيء سوى الذّات.

الثالث: اختصاصه بأسرار ليست في غيره من الأسماء. وفضله وعظمه، وأسماؤه، وصفاته كلها فاضلة عظيمة. إلَّا أنَّ هذا الاسم له تخصيص زائد تامّ كامل على سائرها، كما أنَّ التوراة والإنجيل والزّبور والصُّحُف والفُرقان؛ الكل كلامه عزّ وجلّ ولكنه اختصّ منها القرآن وفَضَّله على سائرها، فكذلك هذا الاسم من بين أسمائه: وخصوصيَّته وفضله وشرفه. فمن خواصِّه أنه في ذاته اسم

كامل في حروفه، تام في معناه، خاص بأسراره، مفرد بصفته فكان أوّلاً «اللّٰه» فحذف منه الألف فبقي «للّٰه» ثم حذفت منه اللّام الأولى فبقي «له» ثم حذفت اللّام الثانية فبقي «هو» فكان كل حرف منه تامّ المعنى، كامل الخصوصيّة، لم يتغيَّر منه معنى، ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نَقَصَت منه حكمة. ولكل لفظة منه مَعانٍ عجيبة، مستقلَّة بذاتها غريبة. وسيأتي الكَلام على معنى هذه الألفاظ وعلى حروفها آخر هذا القسم إن شاء اللّٰه تعالى مبينًا.

وغيره من الأسماء كلّها ليس كذلك أمرها. فإنه إذا حذف شيء من حروفها، أو فَرّقَ بعضها من بعض اختلفت معانيها واعتَلت أساميها، وفَسَدَت أحكام حكمها، ونقصت فائدتها. فلهذا كان هذا الاسم جامعًا شاملاً، تامًّا كاملاً، على الجملة والتفصيل، ولم يؤثِّر تفصيل حروفه ولا تفريقها، ولا إفرادها في شيء من جملة معانيه ولا أخلَّت بشيء من أسراره، ولا نقصت تجزئته شيئًا من كله.

واعلم أنّ الأسماء الحُسْنَى هي ألف اسم منها ثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الإنجيل، وثلثمائة في الزبور، وواحد في صحف إبراهيم، وتسعة وتسعون في الفرقان. قد جمعت معاني تلك الأسماء كلها،

وأدخلت في التسعة والتسعين اسمًا التي في القرآن واحتوت عليها، واشتملت على فضائلها وأسرارها وثوابها، وأن الأسماء كلها التي في جميع الكتب أوّلها:

# اللّٰه

ولهذا كان لهذا الاسم أكثر جَرَيان وتذكرة على ألسُن الناس في جميع الأمور، من كل ما يحاول من الأشياء، لا في الأقوال ولا في الأفعال، ولا في الأسباب كلها، فبدأ فيها ببسم اللّٰه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ... ﴾ [هود، ١١: ٤١] وقال: ﴿... وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [المائدة، ٥: ٤] وقال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ...﴾ [الأنعام، ٦: ١١٨] وقال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ...﴾ [الأنعام، ٦: ١٢١]، وقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ...﴿٢٤﴾﴾ [الكهف، ١٨: ٢٣- ٢٤] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ [المائدة، ٥: ١١ والأحزاب، ٣٣: ٩]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب، ٣٣: ٤١]، وقال: ﴿... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ...﴾

[العنكبوت، ٢٩: ٤٥]، وكل ذلك حضًّا على ذكر هذا الاسم.

* * *

[الصفحات ٩٧- ١٢٣]

قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ المُفْرِّدُونَ، قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا المفْرِّدون؟ قال: الذَّاكرين اللهَ كثيرًا والذَّاكِرات»، وقال - عليه السلام- عن الله تعالى: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أُعْطِيه أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ»، وقال عليه السّلام: «أَشَدُّ الأعْمَالِ ثَلَاثَة: إنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ، ومُوَاسَاةُ الأَخِ فِي المَالِ، وذِكْرُ اللهِ عَزَّوجَلَّ»، وقال عليه السّلام: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»، وقال الحَسَن: قلت أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال: «أَنْ تَمُوتَ ولِسَانَكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ».

فانظر وفَّقك الله كيف جعل ذكر هذا الاسم:

# الله

اسم الله أفضل العبادات؛ لأنّ الله تعالى جَعَل لسائر العِبادات مقدارًا ووقتًا وزمانًا، ولم يجعل لذكر هذا الاسم مقدارًا ولا وَقْتًا ولا زَمانًا، وحَضَّ على الإكثار من ذكره، فقال:

﴿... اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب، ٣٣: ٤١]، وقال: ﴿... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب، ٣٣: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿... وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال، ٨: ٤٥، والجمعة، ٦٢: ١٠]، وقال: ﴿... فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ...﴾ [البقرة، ٢: ٢٠٠]

وقال رسول الله ﷺ «الذَّاكِرونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِراتِ هُمُ السَّابِقُونَ والفَائِزُونَ». وروي أن في التوراة مكتوبًا «استَوَى الجَبَّارُ بِعِزَّتِهِ فَوْقَ مَعَاقد العِزِّ مِنْ عِزِّه فاضطَرَبَ المَاءُ لِهَيْبَتِه، ونَادَى الجَليلُ جَلَّ جَلا لُهُ أنَا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا مَنْ ذَكَرَني ذَكَرْتُهُ وَمَنْ سَأَلَني أعطَيْتُهُ».

ومنها أيضًا: «قَالَ: يَا مُوسَى! أنَا اللهُ القَدِيمُ الأزَلِيُّ خَالِقُ مَكَّةَ، مُفْقِرُ الزُّنَاةِ، تَارِكُ تَارِكِي الصَّلاةِ عُرَاةً، مُغْلِي الأسْعَار، والأهْوَاءُ مَمْلُوءةٌ وَمُرَخِّصُهَا، والأَهْوَاءُ فَارِغَةٌ ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ».

واعلم أن هذا الاسم قد تَقَدَّم الكلام عليه أوّلاً في قسمه بنور ما سمع من علمه، وما فتح الله به من إلهامه وفهمه، وإنما

الحكمة في تذكار ذكره، والحَثّ على كثرة الذِكر به دون غيره، وذلك لمحبّة الله له، وتعظيمه عنده وعُلُوّ مقداره، وتخصيص فضله وإظهار شرفه على سائر أذكاره ليقع التفكُّر في معاني أسراره، التي تشرق على القُلوب والأبدان شموس أنواره وترسّخ معرفة ذاكره ويشتدّ له حبه، وتكمل خصوصيّته ويزداد به قربه. فإن من علامة محبّة المحبوب كثرة ذكره، ومن علامة المزيد كثرة شكره، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره، ومن علامة الرِّضا الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالحات برّه وغلبة خيره على شَرِّه، وفي ذلك قال الشّاعر:

كَرِّرْ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ ... واجْلُوا القُلُوبَ بِنُورِهِ وسَنَائِهِ

ودِرِ الكُؤُسَ عَلَى النُّفُوسِ فَإِنَّهَا ... تَصْبُو إِلَى المَشْرُوبِ مِنْ صَهْبَائِهِ

اسمٌ بِهِ الكَوْنُ استَفَادَ ضِيَاءَهُ ... فِي أَرْضِهِ وفَضَائِهِ وسَمَائِهِ

حَارَتْ عُقُولُ القَوْمِ عِنْدَ صِفَاتِهِ ... نَارَتْ قُلُوبُ الخَلْقِ عِنْدَ ضِيَائِهِ

وَإِذَا تَجَلَّى للقُلُوبِ جَلالُهُ ... شَعُرَتْ بِسِرِّ سَنَائِهِ وبَهَائِهِ

قَرَّتْ قُلُوبُ المُتَّقِينَ بقُرْبِهِ ... وَعَلَتْ عَلَى عَلْيَائِهِ وَعَلَائِهِ

ومن تخصيص هذا الاسم المفرد بالذِّكر أنه ما من لفظة بالذِّكر

من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص، ١١٢: ١] إلَّا وفيها تخصيص إشارة ومعنى وفوائد عجيبة، وأسرار وحكم وعلوم ومعارف جليلة غريبة، فها هنا ﴿قُلْ﴾ أشار إلى الأمر، ﴿هُوَ﴾ إشارة إلى الإثبات لوجوده، ﴿اللَّهُ﴾ إشارة لاسم ذات الألوهيّة، ﴿أَحَدٌ﴾ إشارة لإفراد الأحدية، ﴿اللَّهُ﴾ إشارة لذكر الاسم المفرد للتوحيد، ﴿الصَّمَدُ﴾ إشارة لتنزيه الذَّات عن نفس البشريَّة، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ إشارة إلى كمال التنزيه عَمَّن سِواه، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ إشارة إلى إثبات الأزليّة والقِدَم، ونفي السبقيّة والحدوث والعدم، وهي إشارة إلى عدم الضِّدّ والتشبيه والنظير، والكفو والنِّدّ.

وسُمِّي هذا الاسم بالاسم المُفْرَد لتكرار ذكره وإفراده بين الاسم الآخر واسم الصَّمَد. فاختصّ الحَقّ سبحانه هذا الاسم الثّاني وأفرده، وكَرَّر ذكره ليذكر. كما خَصّ الاسم باسم ذات الألوهيّة، وبمعناها ظهر، وذكر في الوجود واشتهر. فقال: ﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام، ٦: ٩١]، وقال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ...﴾ [الأنعام، ٦: ٣]، أي

معبود ومذكور ومحمود ومشكور وجميع الخَلق تحت أمره ونهيه مقهور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور، ولا يخفى عليه شيء فيها من جميع الأمور.

وكذا الله أكبر: فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن ذكر الله تعالى لنفسه وتوحيده وتعظيمه وتمجيده أكبر وأعظم من ذكر خلقه الضعفاء الفقراء وتوحيدهم له، لأنه هو الغني الحميد.

الثاني: أن ذكر هذا الاسم أعظم من ذكر غيره من أسمائه.

الثالث: أن ذكر الله تعالى لعبده في الأزل قبل كونه أعظم وأكبر إذا ذكره العبد في الحال، وأسبق وأقدم وأتم وأسنى وأرفع وأشرف وأكرم. قال الله تعالى: ﴿... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ... ﴾ [العنكبوت، ٢٩: ٤٥].

الرابع: أن ذكر الله تعالى في الصّلاة أفضل وأكبر من ذكره في غير الصّلاة، ومشاهدة المذكور في الصّلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصّلاة.

الخامس: أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة، والمنن

الجسيمة، وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته، ولهذا قال نبيُّنا ﷺ: «لا أُحْصَى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» معناه: لا أطيق، وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرًا وأفضلهم، فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته ﷺ.

ثم إنَّ ما بعد توحيده شيء أعظم من الصّلاة، ولهذا كانت ثاني قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه السّلام: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: أَنْ يُوَحِّدَ اللهُ وإِقَامِ الصَّلاةِ...» الحديث. وجعلت تكبيرة افتتاحها الله أكبر، ولم تجعل لغيره من الأسماء كلّها، ولا يجوز غير ذلك لقول النبي ﷺ: «تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ» وكذلك ذكر هذا الاسم في الأذان، وفي كل تكبيرة للصّلاة، فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العِبادات، وأقرب للمناجاة لا للصّلاة ولا غيرها من أنواع الطّاعات. وقد وَرَدَ في الحديث عن الله عزّ وجلّ أنه قال: «أنا جَلِيس مَنْ ذَكَرَنِي»، وقال: «أَنَا عند ظَنِّ عَبْدِي بِي إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي وَحْدَهُ ذَكَرْتُهُ وَحْدِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي

فِي مـلأ ذَكَرْتُـهُ فِي مَـلأٍ خَـيْرٌ مِـنْـهُ»، قـال تعـالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...﴾ [البقـرة، ٢: ١٥٢]. ودليـل تفضيله عـلى الصّـلاة من نفـس الآيـة قوله تعـالى: ﴿... إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَرِ...﴾ [العنكبوت، ٢٩: ٤٥]، وإنهـا كذلك وهي معظـم الذِكر، ولكن ذكر الله أكبر مـنها ومن كل عبادة، لقوله تعالى: ﴿... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ... ﴾ [العنكبوت، ٢٩: ٤٥]، ولما روى أبو الدَّرداء عن النـبي ﷺ أنـه قـال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَـالِكُمْ وأَرْفَعِهَـا فِي دَرَجَـاتِكُمْ وأَزْكَاهَا عِنْـدَ مَـليككُمْ وخَـيْرٌ لَكُـمْ مِن إِعْطَـاءِ الذَّهَـبِ والوَرَقِ وخَـيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلقَوا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أعناقَهُـمْ ويَضْرِبُوا أَعْنَـاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَـالَ: ذِكْرُ اللهِ»، ولقوله عليه السّلام في حـديث معـاذ بن جبـل: «مَـا عَـمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَـمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَـذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ» ومعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد ذكره بالجنّة والمزيد. قال الله سبحانه: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَـالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الْأَنْهَارُ...﴾ [المائـدة، ٥: ٨٥].

ومن ذكره باسمه المفرد أعني «الله» ودعاه بإخلاص أجابه. قال تعـالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَـادِي عَـنِّي فَـإِنِّي قَرِيبٌ ...﴾ [البقـرة، ٢: ١٨٦]

الآيـة. ومن ذكره بـالشكر ذكـره بالمزيـد. قـال الله تعـالى: ﴿...لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ...﴾ [إبراهيم، ١٤: ٧] ومـا من عبـد ذكره بـذكر إلَّا ذكره بما يقـابله عوضـًا له. فإن ذكره العارف بمعرفته ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته، وإن ذكره المؤمن بإيمانه ذكره برحمته ورضوانه، وإن ذكره التائب بتوبته ذكره بقبولها ومغفرته، وإن ذكره العاصي باعتراف زلَّته ذكره بِسَترِه وأناته، وإن ذكره الفاجِر بفجوره وغفلته ذكره بعذابه ولعنته، وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته ذكره بعذابه وعقوبته، ومَنْ هَلَّلَهُ أَجَلَّه، ومَنْ سبّحه أصلحه، ومَنْ حمده أيَّدَه، ومن استغفره غفر له، ومَنْ رجع إليه أقبل عليه، فإن أحوال العبد كلها أربعة أحوال: منها أن يكون في طاعة فيذكره برؤية المنّة في توفيقه لها، ومنها أن يكون في معصية فيذكره بالسّتر والتوبة، ومنها أن يكون في نعمة فيذكره بالشّكر، ومنها أن يكون في شِدَّة فيذكره بالصّبر.

وفي ذكر الله تعالى خمس خصـال: رضى الله تعـالى، وَرِقَّة القَلب، وزيادة الخَيْر، وحِرز من الشّيطان، ومَنع مِنْ رُكوب المعاصي. فما ذكره الذَّاكرون إلَّا بذكره لهم، وما عرفه العارفون

إلَّا بتعريفه إياهم، وما وَحَّدَه المُوَحِّدون إلَّا بعلمه لهم، وما أطاعَه المُطِيعون إلَّا بتوفيقه لهم، وما أحَبَّه المُحِبّون إلَّا بتخصيص محبَّته لهم، وما خالفَه المُخالِفون إلَّا بخذلانه لهم، فكلّ نعمة منه عطاء، وكلّ مِحْنَة منه قَضاء، وما أخْفَتْهُ السّابقة أظهرَته اللّاحِقة، وفي ذلك قال الشّاعر:

يَا فَاضِلاً لَمْ يَزَلْ مَاذَا أقُولُ بِهِ    وَفَضْلُ ذِكْرِكَ بالأَعْلَامِ اذْكَارُ
بِذِكْرِكَ العَبْدُ خُذْلِي واهْدِني رَشَدِي    فَهَدْيُكُمْ بِطَرِيقِ الرُّشْدِ أَنْوَارُ
وأهْدِ لي عَمَلاً تَرْضَاهُ يَا أَمَلِي    واطْلِقْ لِسَانِي بِذِكْرِ الحَقِّ إجْهَارُ

واعلم أنّ كلمة التّوحيد شيء بين النّفي والإثبات. أوّلها «لا إله» وذلك نفي وتبرئة وجحد وكُفْر وإنكار، وآخرها «إلَّا اللّٰه» وذلك هو إنشاء وإثبات وإيمان وتوحيد ومعرفة وإسلام وشهادة وأنوار. فـ «لا» تنفي الألوهيّة عمّا لا يستحقّها ولا يجب له. و«إلَّا اللّٰه» إثبات الألوهيّة لمن يستحقّها ويجب له حقيقة. وقد جُمِع معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ...﴾ [البقرة، ٢: ٢٥٦]، ولا إله إلَّا اللّٰه هو للعامَّة طَهارة لأفهامهم من شبه خبالات أوهامهم، إثبات

الوحدانيّة، ونفي الأثنينيّة. وهي للخاصّة قوّة في أديانهم، وزيادة في نور آمالهم بإثبات الذّات والصِّفات، وتنزيهها عن تغيُّر صِفات الأحداث وطرو الآفات، وهو لخاصّة الخاصّة تنزيهًا عن ذكره ورؤية المِنَّة والفَضل بالشُّكر على شُكرِهم.

والناس في التّوحيد وذكره ثلاثة أصناف: صنف منهم عمومًا لأهل البداية، وهو التوحيد باللسان نطقًا ومَقالاً واعتقادًا وإخلاصًا بأنوار شَهادة التّوحيد «لا إله إلَّا الله محمد رسول الله» وهو الإسلام. وصنف خصوص وسط، وهو توحيد القَلب تصريفًا وصرفًا واعتقادًا وإخلاصًا وهو الإيمان. وصنف خصوص الخصوص وهو توحيد العَقل عيانًا أو يقينًا ومشاهدة وهو الإحسان.

وللذِكر ثلاثة مَقامات: ذِكْر باللِّسان، وهو ذكر عامَّة الخَلق. وذِكر بالقَلب، وهو ذِكْر خَواصّ المؤمنين، وذِكْر بالرّوح، وهو لخاصّة الخاصّة، وهو ذِكْر العارِفين بفنائهم عن ذِكْرِهم وشُهودِهم إلى ذاكِرِهم، ومِنَّته عليهم.

ولِذَاكِر هذا الاسم المُفْرَد أعني «الله» حالات: حالة الوَلَه

والفَناء، وحالة الحياة والبَقاء، وحالة النِّعَم والرِّضا.

فأمّا الحالة الأولى من الوَلَه والفَناء، وهو الَّذي يقتصر على ذِكْره ولا خاصّة في بدايته دون غيره من الأسماء، ويجعله نجيا، ويحقِّق ذِكر الهاء فيه حيث يَذكُره فَمَن داوَم على ذلك محا ظاهِرَه وأَمْحَقَ باطِنَه. فكان في ظاهِره كالمَجنون والمُولَه الممحق عقله عنه لا يقبل عليه أحد ويَفِرُّ الخَلْق منه ولا يسكن إليه، لأجل ثبوت الوَلَه الَّذي كَسَى ظاهره. وسِرّ الاسم الَّذي هو ذاكره. فإن ذكر صفة الألوهيّة لا يَقْدِر أحد أن يتَّصِف بشيء منها، ولا يستقيم ثباتًا أن يتلقَّاه نفسًا يصدر عنها، فَصَار ذاكره بين الخَلْق كما قال تعالى: ﴿... فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون، ٢٣: ١٠١] وكان في باطنه كالمَيِّت الفاني لِسُكُون ذاته وصِفَاته، وسُكونِه عن مألوفاتِه وعاداتِه، وخُضوع جَوارِحه وهمود فؤاده وخُشوعه. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل، ٧٣: ٥]، وقال تعالى: ﴿... وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾ [الحج، ٢٢: ٥].

وأمّا الحالة الثانية من الحَياة والبَقاء: فإنه إذا تَحَقَّق ذاكر هذا الاسم فيه وثبت عليه وأِلفَه امتَحَتْ منه رُسومه وأوصافه، ونفخ فيه روح الرِّضا بعد موت اختياراته وإراداته، وفَنى عن حُظوظ عاداته وشَهَواته، وخَرَج عن مذموم صفاته، وانتقل من حالة الوَلَه والفَناء إلى حالة الحَياة والبَقاء، وكانت له هَيْبَة وسَطْوَة في الـمَوجودات وخَافَهُ وعَظَّمَهُ وذَلَّ له وتَبَرَّكَ به كلّ شيء من المحدثات.

وأمّا الحالة الثالثة من حالة النَّعيم والرِّضا: فإنّ ذاكِر هذا الاسم إذا عَظَّم أمر الله، وأشفَقَ على خَلْقِ الله، ولم يتَغالى بالادِّعاء في دين الله، وانبسط من نفسه بالله لله، واتَّسَع بسعة رحمة الله ولم تؤثِّر فيه مَخلوقات الله، ولم يَبْقَ لأحد ولا لشيء عليه سبيل بإذن الله انتقل من حالة الحَياة والبَقاء إلى حالة النَّعيم والرِّضا، وعَاش عيشة منعَّمة دائمة كريمة هنيئة مرضية، لا كدر فيها ولا غير، سليمة مستقيمة، وتمكَّن في حاله، وأمن فاطمأنّ، وثبت وكان بين الخَلْق كغيث المَطَر حيثما حَلَّ أخْصَبَ وأنْبَتَ واقتَاتَ جميع الأشياء منه، وحصل له التّنعُّم والرِّضا بالله، ورَضِيَ الله عنه. قال الله تعالى: ﴿... ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون،

٢٣: ١٤]، وروي أن فقيرًا في مجلس الشّبلي رضي الله عنه صاح: «الله»، فقال له الشّبلي: يا هذا! إن كُنْتَ صادقًا فقد اشتهرت، وإن كنت كاذبًا فقد هَلَكْت. وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد رحمه الله، فقال له الجنيد: يا أخي! إن كان مَنْ ذَكَرته شَاهِدًا لك وأنت حاضر معه فقد هَتَكْتَ السّتر والاحترام، والغيرة من شِيَم أوصاف المُحِبّ المُسْتَهام، وإن كُنْتَ ذَكَرْتَه وأنت غائِب عنه فَذِكْر الغِيبة غيبة، والغِيبة حَرَام. وحُكِيَ عن أبي الحَسَن الثَّوري رحمه الله أنه بقي في منزله سبعة أيّام لَم يأكل ولَم يَشْرَب ولَم يَنَمْ وهو يقول: الله الله. وأخبر أبو القاسم الجنيد بحاله فقال: أمحفوظ عليه أوقاته؟ قيل له: إنه يُصَلّي الصّلاة لوقتها، فقال: الحمد لله الَّذي حفظه ولم يجعل للشّيطان عليه سبيلاً. ثم قال لأصحابه: قوموا بنا حتى نزوره، فإما نفيد أو نستفيد منه، قيل: فلمّا دَخَل عليه الجنيد قال: يا أبا الحَسَن! هو قولك الله الله بالله أم بنفسك، فإن كنت القائِل بالله فَلَسْتَ القائل له، فإنه المتكلِّم على لسان عَبْدِه، الذّاكر نفسه بنفسه، وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوَلَه، قال له الثَّوري: نِعْمَ المُؤَدِّبُ أنت يا أستاذ! فَسَكَن وَلَهَه:

وَلِهْتُ بِكُمْ ذِكْرًا وَحَقًّا لِصَبِّكُمْ    يُصِيبُ بِذِكْرَاكُمْ وَيَفْنَى بِكُمْ عِشْقَا
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شَوْقًا إلى الحُبِّ غَالِبًا    عَلَى العَقْلِ مِنْ وَجْدٍ لَعَمْرِي لَقَدْ يَشْقَى
وَمَا الذِّكْرُ إِلَّا أَنْ يَغِيبَ بِذِكْرِهِ    عَنِ الذِّكْرِ فِي المَذْكُورِ مِنْ وَلَهٍ يَلْقَى
وَمَن كَانَ ذَا عَقْلٍ فَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ    وَمَنْ غَابَ عَنْ ذِكْرٍ فَحَقَّ لَهُ يَرْقَى

واعلم أنّ الذِّكر هو التخلُّص من الغَفْلَة والنِّسيان بمداوَمة حضور القَلب وإخلاص ذِكْر اللِّسان مع رؤيته منه، السّيِّد يجري إطلاق الذِّكر على لسان العَبد.

وقيل: الذِّكْر هو الخُروج من مَيْدان الغَفْلة إلى فَضَاء المُشاهَدة على استيلاء الخَوْف وشِدَّة المَحَبَّة وهَيَجَان الشَّوق وقِلَّةِ الغَلَبَة.

وحقيقة الذِّكْر إفراد المَذكور بغيبة الذّاكِر عن ذِكْرِه، وفَنَائِه في المُشَاهَدة والحُضور لَم يغيب مشاهدته في مشاهدته، فَيَشْهَد حقًّا بِحَقّ. فيكون الله هو الذّاكِر والمَذكور. فَمِن حيث جَرَيان الذِّكْر على لِسان العَبْد كان ذاكِرًا له. ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو ذاكرًا لعبده فما به ذكره. ومن حيث بعث الخاطر ابتدأ منه كان ذاكرًا لنفسه على لسان عبده كما روي في الحديث الصحيح أنه قال تعالى: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ولِسَانَهُ

الَّذي يَنْطِقُ بِهِ» الحديث، وفي رواية أخرى: «كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَلِسَانًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا» الحديث.

والذِّكْر تختلف أنواعه وتتعدَّد، والمَذكور واحد لا يَتَعَدَّد ولا يَتَحَدَّد. وأهل الذِّكْر هم أحباب الحَقّ مِنْ حَيث اللّوازم، وهو على ثلاثة أقسام: ذِكْر جلي، وَذِكْر خَفِي، وَذِكْر حقيقي. فالذِّكر الجَلِي لأهل البداية وهو ذِكْر اللِّسان يصرف الشّكر والثّناء والحَمْد بتعظيم النّعم والآلاء ورعي العَهد، وحسنته بعشرة إلى سبعين. والذِّكر الباطن الخَفي لأهل الولاية وهو ذِكْر سِرّ القَلب بالخَلاص من الفَترة، والبَقاء مع المُشاهَدة بلزوم مُشاهَدة الحَضْرَة، وحسنته بسبعين إلى سبعمائة. والذِّكْر الكامل الحقيقي لأهل النّهاية، وهو ذِكْر الرّوح بشهود الحَقّ إلى العَبْد. والتخلُّص من شُهود ذِكْرِه ببقائه بالرّسم والحكم، وحَسَنَتُه بسبعمائة إلى ما لا نهاية له بالتّضعيف، لأنّ المُشَاهَدة فَناء لا لَذَّة فيها، والرّوح له ذِكْر الذّات، والقَلب له ذِكْر الصِّفات، واللِّسان له ذِكْر العَادة للتعرّضات. فإذا صَحّ ذِكْر الرّوح مَكَثَ القَلب عن ذِكْرِه ذلك. وذِكْر هَيْبَة الذّات، وفيه إشارة إلى التّحقيق بالفَناء وإشعار بالقُرب، وإذا صَحّ ذِكْر القَلب سَكَتَ

اللِّسان وفَتَر عن ذِكره، وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصِّفات، وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقيّة دون فَناء وإشعار تضعيف القبول. فإذا غَفِلَ القَلب عن الذِّكْر أقبل اللِّسان على الذِّكْر عادة وتعرُّضًا. ولكلّ واحدة من هذه الأذكار آفة، فآفة ذِكْر الرّوح إطْلاع سِرّ القَلب عليه، وآفة ذِكْر القَلب إطلاع النّفس عليه، وآفة ذِكْر النّفس التعرُّض للعِلّات، وآفة ذِكْر اللِّسان الغَفلة والفُتور، وفي ذلك قال الشّاعر:

هُوَ اللهُ فَاذْكُرْهُ وسَبِّحْ بِحَمْدِهِ فَلَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إلَّا لِمَجْدِهِ
عَظِيمٌ لَهُ حَقُّ المَحَامِدِ كُلِّهَا فَمَاذَا عَسَى تَقْضِيه أَذْكَارُ عَبْدِهِ
لَوِ البَحْرُ أَضْحَى وَالبِحَارُ تَمُدُّهُ مدَادًا ومُحْصِي البَحْرَ عَادَ كَمَدِّهِ
وَأَجْهَرَتِ الأشْجَارُ تَكْتُبُ حَمْدَهُ لإنْفَادِ مَا تَحْمُدُهُ مِنْ دُونِ عَدِّهِ
لَزَادَ تَسَمَّى بالحَمِيدِ وَخَلْقِهِ تُسَبِّحُ مَا دَامَ الوُجُودُ لِمَجْدِهِ

ثمّ النّاس في الذِّكْر على ثلاثة أقسام: عامّة مفادون، وخاصّة مجتهدون، وخاصّة الخاصّة مهتدون. فَذِكْر العامّة بداية للتطهير، وذِكْر الخاصّة وسط للتقدير، وذِكْر خاصّة الخاصّة نهاية للتّبصير. فَذِكْر العامّة بين نفي وإثبات، وذِكْر الخاصّة إثبات في إثبات، وذِكْر

خاصّة الخاصّة حَقّ بِحَقّ إثبات الإثبات، من غير رؤية واسعة ولا التفات. فَذِكْرُ الخائفين على وعيده، وذِكْرُ الرّاجين على وعده، وذِكْرُ المُوَحِّدين بِتَوحيده. وذِكْرُ المُحِبّينَ على مُشاهَدته، وذِكْرُ العَارِفين ذِكْرُه له لا بهم ولا لهم. فالعارِف يَذْكُرُ الله تَشريفًا وتعظيمًا، والعَالِمُ يَذكُرُ الله تَنزيهًا وتَمجيدًا، والعَابِدُ يَذكُرُ الله خائِفًا وراجِيًا، والمُحِبّ يَذكُرُ الله وَلَهًا، والمُوَحِّدُ يَذكُرُ اللهَ هَيْبَةً وإجلالاً، والعامَّة تَذكُرُ الله عادَة جارية، والعَبْد مقهور للذِّكْر مَذكور، والمُكَلَّف غير مَعذور.

وكيفيّة الذِّكْر على ثلاثة أحوال: ذِكْر البداية للحياة واليقظة، وذِكْرُ التوسُّط للتّنزيه والطّهارة، وذِكْرُ النهاية للوصلة والمعرفة. فَذِكْرُ الحَياة واليَقَظة بعد التلبُّس بشروطه الإكثار من ذِكْر «يا حي يا قيوم لا إله إلَّا أنت». وَذِكْرُ التّطهير والتّنزيه بعد التلبُّس بشروطه الإكثار من «حسبي الله الحي القيوم».

وللذِّكر ثلاث مَراتب: منها ذِكْر الغَفْلَة، وجزاؤه الطّرد واللَّعن، وذِكْرُ الحُضور قرب وزيادة وفَضل، وذِكْرُ الاستغراق مَحَبّة ومُشَاهَدة ووَصْل، كما قيل:

مَـا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَـمَّ يُقْلِقُـنِي فِكْرِي وَذِكْرِي وَسِرِّي عِنْدَ ذِكْرَاكَا
حَـتَّى كَأَنَّ رَقِيبًا مِـنْكَ يَهْتِـفُ بِي إِيَّـاكَ وَيْحَكَ والتِّـذْكَارَ إِيَّـاكَا
اجْعَـلْ شُهُودَكَ فِي لُقْيَـاكَ تَـذْكِرَةً فَـالحَقُّ تِذْكَـارُهُ إِيَّـاكَ لُقْيَـاكَا
أَمَا تَرَى الحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَاصَلَ الكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَا
فَامْنُنْ بِذِكْرٍ صَفًا عَنْ كُلِّ مُشْتَبِهٍ وَارْحَمْ عُبَيْدًا عَسَى بالقَلْبِ يَرْعَاكَا

واعلم أنّ الذِّكرلا يخلو من ثلاثة أشياء: إمّا ذِكْر اللِّسان بقرع باب الملك، وهو كفّارة ودَرَجات، وإمّا ذِكْر القَلب بإذن مخاطبة الملك، وهو زلفًا وقربات، وإمّا ذِكْر الرّوح بمكالمة الملك ومحادثته، وهو حُضور ومشاهدة. فالذِكْر باللِّسان والقَلب غافل هو ذِكْر العَادة العاري عن الزّيادة. والذِكْر باللِّسان والقَلب خاطر هو ذِكْر العِبادة المخصوص بالإفادة. والذِّكْر بِكُلّ اللِّسان وملء القَلب هو الكَشف والمُشَاهَدة. ولا يعلم قَدْره إلّا الله تعالى.

وروي أنَّ مَنْ أَكْثَرَ فِي بِدايَتِهِ مِنْ قِراءَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص، ١١٢: ١]، نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَقَوِيَ تَوْحِيدَهُ.

وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَنْ

قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ مائَةَ ألْفِ مَرَّة فَقَدِ اشْتَرَى بِهَا نَفْسَهُ مِنَ الله تعالى، ونَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ الله تعالى في سَمَاواته وفي أرْضِهِ: أَلَا فُلَانًا عَتِيقُ اللهِ، فَمَن لَهُ قِبَلَهُ تَبِعَةٌ فَلْيَأْخُذْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» .

وروي «أنَّهُ مَنْ أكْثَرَ مِن الاستِغْفَار عَمَّرَ اللهُ قَلْبَه وَكَثَّرَ رِزْقَه وغَفَرَ ذَنْبَهُ وَرَزَقَه مِن حَيثُ لا يَحْتَسِب وَجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ فَرَجًا ومَخْرَجًا ويُؤتيهِ الدُّنيا وهِيَ رَاغِمَةٌ، ولِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ وعُقُوبَةُ العَارِفِ الغَفْلَةُ عن الحُضورِ في الذِّكْر» .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ مَصْقَلةٌ، ومَصْقَلَةُ القَلبِ الذِكْر، وأفْضَلُ الذِكْر لا إلهَ إلَّا الله» وجلاء القَلب وبياضه وتنويره بالذِّكْر وباب الفِكْر. فإنّ أرفع المَجالس وأشرَفها الجُلوس مع الفكرة في ميدان التّوحيد، والتوكُّل عمل القَلب، والتّوحيد قوله، وباب الذِكْر الفِكْر، وباب الفِكْر اليَقَظة، وباب اليَقَظة الزُّهْد، وباب الزُّهْد القَناعة، وباب القَناعة طَلَب الآخِرة، وباب الآخِرة التّقوى، وباب التّقوى الدُّنيا، وباب الدُّنيا الهَوى، وباب الهَوى الحِرص،

وباب الحِرص الأمل، والأمل هو الدّاء العُضال الّذي لا يبرأ. وأصل الأمل حُبّ الدُّنيا، وباب حُبّ الدُّنيا الغَفْلَة، والغَفْلَة هي غِلاف على باطِن القَلب يَتَوَلَّد، والتّوحيد هو الإكسير الَّذي لا يَضُرُّ مَع اسمه شيء، كما قيل: «بسم الله الَّذي لا يَضُرُّ مع اسمِهِ شيء في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع العليم» وأعظم التّوحيد ولبّه وقلبه وجوهره توحيد هذا الاسم المُفْرَد وإفراده ومعرفته.

وذُكِرَ أنّ بعض العارفين المحقِّقين سُئِلَ عن اسم الله الأعظم فقال: هو أن تقول: «الله»، وأنت لا تكون هناك. فإنّ مَن قال الله من الخَلْق قاله بحظ، وما تُدْرَكُ الحَقائق بالحُظوظ. ومَن قال الله بالحُروف فإنه لم يقل الله ولا ذِكْره حقيقة، لأنه خارج عن الحُظوظ والحُروف والأفهام والمحسوس والرّسوم والخَيالات والأوهام، لكن ربّنا بفضله رَضِيَ مِنّا بذلك، وأثابَنا عليه، لأنه لا سبيل إلى ذكره وتوحيده من حيث لا حال ولا مَقال إلّا بها في استطاعة البَشَر من قوله بإدراكه. وأصل التخصيص والعناية من العارفين والعُلَماء أهل التمكين لا

يرضى ذِكْرُه منهم بذلك كما قال: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات، ٣٧: ١٦٤]، ومن أحسن أن يقول: «الله» ويذكره بتوفيقه له وتخصيصه إيّاه تحقَّقَت له الأسماء الحُسْنَى بقوله وذِكْر الله وبِذِكْر اسم من أسمائه فكان قوله الاسم مثل كُنْ تَكُنْ له الكائنات. ويَتَصَرَّف به في المَوجودات فمَن قال الله حقًّا بِحَقّ لا عن عِلّة ولا بعلة، بل عن عِلم قام به وبمعرفته وتعظيم له وإجلال كامل وتنزيه مَحْض ورؤية منه، فقد أجَلّ الله وذَكَرَه وعظَّمه وعرف قَدْره. فإنّ ذِكْر الله وتوحيده هو رضاه لهم به كما يستحقّه هو سبحانه، والمعرفة رؤية لا علم، وعين لا خبر، ومُشَاهَدة لا وَصْف، وكَشْف لا حِجاب، ما هم هم، ولا هم بإياهم كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ... ﴾ [الزخرف، ٤٣: ٥٩]، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا، وفي الحقيقة ما ذكر الله إلّا الله.

# مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح
# في ذِكر الله الكَريمِ الفَتّاح

## الشيخ ابن عطاء الله السكندري

[الصفحات ٣١- ٣٢/ ٧١- ٧٣]

الذِّكْرُ الرّابع: الله، ويُسَمّى الذِّكْرُ المُفْرَدُ لأنّ ذاكِره مُشاهِد لجَلال الله وَعَظَمتِه فانيًا عن نفسه، قال الله تعالى: ﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام، ٦: ٩١]، وذكر أن الشّبلي سأله رجل لِمَ تقول الله ولا تقول لا إله إلّا الله؟ فقال: لأنّ الصديق أعطى ماله كلّه فلَم يَبْقَ منه شيء فتَخَلَّل بِكساء بين يَدَي النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما خليت لعيالك فقال: الله»، فلذا أنا أقول: الله، فقال السَّائل للشّبلي: أُريد أعلا من هذا، فقال الشّبلي: أستحي مِن ذِكر كلمة النّفي في حضرته والكُلّ نوره، فقال: أريد أعلا من هذا، فقال الشّبلي: أخشى أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار، فقال السائل: أُريد أعلا من هذا، فقال الشّبلي: قال الله لنبيه: ﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام، ٦: ٩١]، فقام الشّاب وزعق بزعقة فقال الشّبلي: الله، فزعق ثانيًا فقال الشّبلي: الله، فزعق ثالثًا، ومات. واجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشّبلي وادّعوا عليه الدّم وحملوه إلى الخليفة فأذِنَ لهم فدخلوا عليه وادّعوا الدّم فقال الخليفة للشّبلي: ما جوابك؟ فقال: روحٌ حَنت فرنَت وسَمَت فصاحَت فَدُعِيَتْ فَسَمِعَتْ فَعَلِمَتْ

فأجابَت فَما ذَنْبِي؟ فَصَاحَ الخليفة خَلّوا سَبيله. ووجه القَول بهذا الذِّكر المُفْرَد أنه المَقصود فهو بالذِّكر أولى، ولأنّ ذاكِر لا إله إلَّا اللهُ قَد يموت بين النفي والإثبات ولأنّه سَهْل على اللّسان وأقرب لإحاطة القَلب به ولأنّ نفي العَيب عن مَن يستحيل عليه العَيب عَيب ولأنّ الاشتغال بهذه الكلمة مُشْعِر بتعظيم الحَقّ بنفي الأغيار، إلَّا أنّ نَفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القَلب بالأغيار وذلك ممتنع على المستغرق في نور التّوحيد، فَمَن قال لا إله إلَّا الله فهو مشتغل بغير الحَقّ ومَن قال الله فهو مشتغل بالحَقّ، فأين أحد المَقامين من الآخر. وأيضًا نفي الشيء إنّما يحتاج إليه عند خطور ذلك الشيء بالبال وخطور ذلك الشيء لا يكون إلَّا عند نقصان الحالة فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشّريك امتنع أن يكلفوا نفي الشّريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا يخطر في خيالهم إلَّا ذِكْر الله فيكفيهم أن يقولوا الله، وأيضًا قال الله: ﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام، ٦: ٩١]، فأمره بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم، والقول بالشّريك من الأباطيل وفيه خوض في ذلك المَقام فكان الأَوْلَى الاقتصار

على قولك الله وَجَواب مَن قال بالنّفي والإثبات عن هذا مِن حيث المَعنى إن النّفي للتطهير والإثبات للتنوير، وإن شئت قلت النّفي للتخلية والإثبات للتحلية واللوح إذا لم تمسح نقوشه لا يكتب فيه شيء، والقَلب الواحد لا يصلح أن يكون محلّاً لشيئين فضلاً عن أشياء، ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال الله ألف مَرّة قَلَّ ما يشعر قلبه بمعناها وإذا فَرَغ القَلب عن غير الله لو قال مَرَّة واحدة الله يَجِد مِن اللَّذّة ما لا يستطيع اللِّسان وصفه.

فإن قلت: قد ذَكَرت لكلّ ذِكْر أَدِلّة بحيث يَظُنّ النّاظِر في كُلّ ذِكْر أنه الأفضل وذلك يورث التحيُّر عند التخيُّر..

قلت: كل ذِكْر له حالة ووقت هو فيه أفضل من غيره فيه فلكل مَقام مَقال هو به أليَق ولكلّ ذِكْر حال هو به أخْلَق، كما سيأتي وكما أن القرآن أفضل من الذِكْر فالذِكْر في بعض الأحوال أفضل منه للذّاكِر كما في الرّكوع.

❁ ❁ ❁

[الصفحات ٧١- ٧٣]

الإله اسم يقع على كل معبود بِحَقّ أو باطِل ثم غَلَب على المعبود بالحَقّ. وأمّا الله فقيل مشتق، واختلفوا فيه على أقوال، قيل: مأخوذ

من إله الرجل إذا فزع إليه غيره من أمر نزل، فإلهه إذا أجاره، وسمي إلهًا كما سُمِّي مَنْ أمَّ بالنّاس إمامًا. وقيل مأخوذ من وَلَه يوله، وأصله ولاه فأُبْدِلَت الواو همزة كما قالوا في وشاح أشاح، والوَلَه هو المَحَبّة الشّديدة، وكان يجب أن يُقال مألوه كما يُقال مَعبود إلّا أنهم نَقَلوه كما قالوا في مَكتوب كِتَاب ومَحسوب حِساب. وقيل مأخوذ من لاه يلوه إذا احتجب أي حجب العقول عن حقيقته. وقيل من لاه يلوه إذا ارتفع؛ يقال لاهت الشّمس إذا ارتفعت. وقيل من قولهم ألهت بالمكان إذا أقَمْت به وذلك إشارة إلى دوام وجوده قال الشّاعر:

أَلِهْنَا بِدَارٍ مَا تبين رسُومُها    كَأنّ بَقَاءَهَا وِسَامٌ عَلَى اليَدِ

وقيل مَنْ ألِهَ يأله إذا تحيّر، وذلك إشارة إلى تحيّر العُقول في فَهم كُنه حقيقته. وقيل من التألّه وهو التعبّد؛ يقال ألِهَ يَأله آلهة أي عَبد يَعبُد عِبادة. قرأ ابن عبّاس: ﴿... وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ...﴾ [الأعراف، ٧: ١٢٧]، أي عبادتك قال التلمساني: هو أقرب لقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف، ٤٣: ٤٥] ومعنى لا إله إلّا الله لا معبود إلّا الله.

وقيل الله ليس بِمُشْتَقّ وإنّما أجري مَجرى الأعلام وإنّما قلنا أجري مَجرى الأعلام لأنه وصف بِسَائر الأسماء ولا يُوصَف به، وذلك خاصِّيَّة الأعلام وإنّما لم نَقُل علمًا لعدم الإذن الشّرعيّ وهو اسم للمَوجود الحَقّ الجَامِع لِصِفات الإلهيّة المَنْعوت بِنُعوت الرّبوبيَّة المُنْفَرِد بالوُجود الحَقيقي وكُلّ مَوجود سِواه اسْتَفاد الوجود منه، وهذا الاسم أعظم التّسعة والتّسعين اسمًا لأنّه دالّ على الذّات الجامعة لجميع صِفات الإلهيّة وسائر الأسماء لا تَدُلّ آحادها إلّا على آحاد المَعنى من عِلم ونحوه ولَم يَرِد عن العَرَب قبل النبي ﷺ ولا بعده أنه استعمل لَفظ هذا الاسم على صيغته فضلاً عن وضعه صِفَة لغيرة وقد وَرَدَت الآثار أنهم كانوا يكتبون في صُحُفِهم في الجاهليّة باسمك اللّٰهمّ وقال تعالى: ﴿... هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم، ١٩: ٦٥] ولهذا قال الجنيد رحمه الله: ما عرف الله إلّا الله وأعطى لخلقه الأسماء فَحَجَبَهُم بها فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة، ٥٦: ٧٤] فوالله ما عرف الله إلّا الله في النشأتين والدّارَيْن واليَومَيْن وقبض الله تعالى بسط العُقول والأرواح والقُلوب في ميدان هذا الاسم كما بَسَطَهم في ميدان الأسماء ولذلك لم يَقَع التّجاسُر ولا

سنح للأفكار التّسمية به مع وُجود الجاحِدين والفراعنة الطّاغين وشِدَّة كُفْرِهِم ولذلك كان كُلّ اسم من أسمائه يَصْلُح للتخلُّق إلّا هذا الاسم فإنه للتعلّق فينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التألّه وأعني به أن يكون مستغرق القَلب والهِمّة بالله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلَّا إيّاه ولا يصحّ التعلُّق بهذا الاسم إلَّا بعد التخلُّق بمجموع الأسماء أقوالاً وأفعالاً وأحوالاً وظاهرًا وباطنًا. ومَن أراد التقرُّب بهذا الاسم فعليه بسبعة أصول استحقار ما سوى الله حالاً والتعظيم لأوامر الله كَشفًا، وسُقوط الأكوان شهودًا، والفَناء في الجمع استغراقًا وتعلّق الهِمّة بالله دأبًا ومراقبة الأنفاس سِرًّا وذِكْر الاسم الأعظم ظاهرًا وباطنًا إلى أن يتألّه في الوَلَه يعني يسترق سِرّه في وُجوده في حقيقة شُهوده لا يرى غيره ولا يَحِسّ من سواه فيحرس الله عليه أحواله ويحفظ من الأغيار أسراره. وعن الشّبلي: ما قال أحد على الحقيقة الله إلَّا الله ومَن قاله إنما قاله لحظّه. قال أبو سعيد الخزاز: مَن جاوَزَ حَدّ نسيان نفسه وَقَع في نسيان حَظّه من الله ونِسيان حاجته إلى الله فلو تكلَّمت جَوارحه لَقَالَتْ: الله الله، فهؤلاء الَّذين

وَلِهَت أسرارهم بالله، وانمَحَتْ آثارَهُم طَمْسًا في عَين التّوحيد، فاستخدم الله لهم الأكوان وسَخَّرَ لهم الأسرار، فَمَن اتَّخَذ الخلوة بهذا الذِّكْر إلى أن يتوله به في الاستغراق، وحقيقة التولّه أن يستغرق ولا يَحِسّ أذاكِرٍ أم صَامِت أو مَوجود أو مَعْدوم إلى أن يَغْلِب عليه فَيَسْمَع كُلّ عضو منه يقول: الله الله بِلسَان يَسْمَعه، فَلَو سَقَط دمه لَكَتَبَ الله الله.

وهذا واعلم أنّ في كُلّ ذَرَّة فَما دونها من ذَرَّات العالم سرًّا من أسرار اسمه الله فبذلك السِّرّ فهم عنه وأقرّ له بالتّوحيد كُلّ عالم على نوعه الّذي هو قائم به عَلِمَ أم لَمْ يَعْلَم كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا... ﴾ [الرعد، ١٣: ١٥] فالألف الأولى دلالة الذّات واللَّام الأولى دلالة صِفات الذّات واللَّام الثانية دلالة أسماء الأفعال واللَّام الثالثة دلالة أسماء المَعاني القائمة باسماء الصِّفات والهاء دالّة أسماء الإشارة لِبَوَاطِن الأسماء.

# ميزان العَمَل

## الإمام أبو حامد الغزالي

[الصفحات ٢٢٢- ٢٢٣]

السَّبيل أن تَقطَع علائقك من الدّنيا بالكليّة، بحيث لا يلتفت قلبك إلى أهْل، وَوَلَد، وَمَال، وَوَطَن، وَعِلْم، وَوِلايَة. بل تَصير إلى حالة يَستوي عندك وجودها وعدمها.

ثُمَّ تَخلو بِنَفْسِك في زاوية تَقْتَصِر مِن العِبادة على الفَرائض والرّواتِب، وتَجْلِس فَارِغ القَلب، مجموع الهَمّ، مُقْبِلاً بِذِكْرِك على الله تعالى.

وذلك في أوَّل الأمر، بأن تُواظِب باللِّسان على ذِكْر الله تعالى، فلا تَزال تقول: الله الله مع حضور القَلب وإدراكه، إلى أن تنتهي إلى حالة، لو تركت تحريك اللِّسان، لرَأيْتَ كأن الكَلمة جارِيَة على لِسَانك؛ لكثرة اعتياده.

ثُمَّ تصير مُواظِبًا عليه، إلى أن يَنْمَحي أثر اللِّسان، فتصادف نَفْسَك وقَلبَك، مُواظِبَيْنِ على هذا الذِّكْر، من غير حركة اللِّسان.

ثُمَّ تُواظِب إلى أن لا يَبْقى في قَلبك إلّا معنى اللَّفظ، ولا يَخْطُر ببالك حُروف اللَّفظ وهيئات الكلمة، بل يَبْقَى المَعنى المُجَرَّد، حاضِرًا في قَلبك، على اللّزوم والدّوام.

ولك اختيار إلى هذا الحَدّ فقط، ولا اختيار بعده لك إلّا

فِي الاستدامة لِدَفع الوَسَاوِس الصّارِفة.

ثُمَّ ينقطع اختيارك، فَلا يَبْقَى لك إلَّا الانتظار لِمَا يَظْهَر مِن فُتوح ظَهر مثله للأولياء، وهو بعض ما يَظْهَر للأنبياء. قد يكون أمرًا كالبَرق الخاطِف لا يثبت، ثُمَّ يَعود. وقد يَتَأخَّر؛ فإن عاد فقد يَثْبت، وقد يكون مختطفًا. وإن يثبت امْتَدّ ثَباته، وقد لا يَطول. وقد يَتَظاهَر أمثاله على التّلاحق. وقد لا يقتصر على فَنّ واحد.

ومنازل أولياء الله فيه لا تُحْصَى، لتفاوت خلقهم وأخلاقهم.

فهذا مَنْهَج الصّوفيَّة، وقد رَدُّوا الأمر إلى تَطهير مَحض من جانبك، وتصفية وجلاء، ثُمَّ استعداد وانتظار فقط.

٢٤ MمبأBDA

ذِكْر اسم الله


اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون
بسم الله الرحمن الرحيم
صدق الله العظيم
المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية (مبدأ) (أ.١٤٢٧هـ)
THE ROYAL ISLAMIC STRATEGIC STUDIES CENTRE (R.I.S.S.C) (F.2007)